٢٤

مجلة
روايات أحلام

قبل أن تنسى

www.elromancia.com

مرمورية

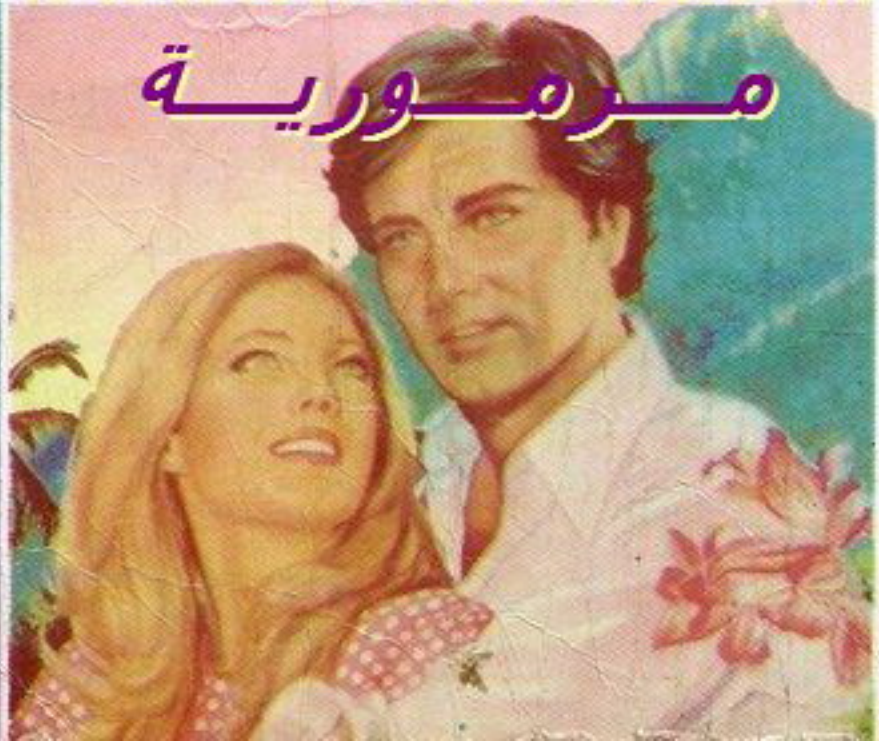

مجلة روايات أحلام

قبل أن تنسى

هل نستطيع أن نهرب من ماضينا؟ ماكسين التي لفّها الحزن بعباءته السوداء منذ مقتل أخيها، لم تتردد في الخروج من حزنها عندما سنحت لها الفرصة، وسافرت إلى جزر الكاريبي علّها تنسى. وهناك عادت لتواجه قدرها الذي هربت منه، فقد أحبها نويل دواستير فارس أحلام فتيات الجزيرة وطلبها للزواج. لكن ماكسين اكتشفت أنها في الماضي كانت سبباً في حادثة حطمت نويل وجعلته رجلاً تعيساً. وظلت الحقيقة تكويها كالجمر حتى قررت أن لا خيار أمامها إلا التضحية من أجل من تحب وأن عليها الرحيل ولو من دون قلبها.

١ ـ رحلة النسيان

الدقائق تمر بطيئة، والساعة تشارك ماكسين بالارتجاف مع كل حركة لعقاربها. هذه حالها مع الذكرى المؤلمة. ذكرى موت أخيها المفجعة زرعت الألم في انحاء جسدها كله. وتعود صورة وجهه المشوّه لتقف أمام ناظريها تعذبها، تثير أحزانها الدفينة وتكاد تدفع بها إلى الجنون وبدافع من يأسها بدأت تصلي: «اوه... يا إلهي! أعطني الصبر وراحة البال... ولو لبضع دقائق». لكن صلاتها ذهبت سدى، إذ أن الصورة نفسها ما زالت تتراءى لها، صورة أخيها ذي الثمانية عشر ربيعاً مستلق في مشرحة البوليس جثة هامدة مشوهة.

لقد أصبحت وحيدة الآن فأخوها كان عائلتها وليس لها أقارب غيره سوى عمة بعيدة لم تكن قد رأتها هي وأخوها منذ سنوات لذلك لم تستطع هذه العمة التعرف إلى جثة كيم. وتركت هذه المهمة الصعبة لاخته هي وحدها من سيتعرف إليه.

أغمضت عينيها بقوة، محاولة من جديد إبعاد الصورة عنها بتفكيرها بأشياء أخرى... تفكر بالأوقات السعيدة التي عاشتها بالرغم من إرهاقها بالعمل، إضافة إلى تحمل مسؤولية منزل، وكونها أم لأخيها الذي يصغرها بسبع سنوات.

أجل... كانت سعيدة يوم كانت تقضي أوقاتها مع كيم. كان رب عملها صبوراً معها ومتفهماً لظروفها. فقد كانت، وهي

سكرتيرته، تطلب إجازة عندما تضطر لملازمة أخيها المبعد عن المدرسة بسبب مرضه، أو عندما كسر ساقه خلال ممارسته الرياضة... وفي إحدى المرات استمرت إجازتها لستة أشهر... لكن ما من مرة توقف رئيسها السيد طومسون عن دفع أجرها.

وها قد مات كيم... قتل على الفور حين اصطدم بدراجته النارية بشاحنة منزلقة فوق الجليد فحطمتهما معاً.

أحست بارتجاف في أوصالها، فوضعت رأسها بين يديها، مغمضة عينيها وكأنها تحاول أن لا ترى المأساة التي تعذبها... وفجأة تحوّل تفكيرها إلى أمر آخر. أمر عذبها، لكن بشكل مختلف. فكرت بتلك اللحظات عندما عادت في سيارتها من مشرحة البوليس... تلك اللحظات كانت تخلّف فراغاً في ذاكرتها... غالباً ما كانت ترغب لو تعود تلك اللحظات، لكنها كانت دائماً تفشل في استعادتها... ويبقى الفراغ.

مرت ستتان على تلك الحادثة وها هي الآن تروي قصتها للويزا. لويزا وزوجها بيرت، سكنا مع ماكسين، بعد ثمانية أشهر من الحادثة. وأصبحت المرأتان الشابتان صديقتين. وقالت ماكسين شارحة وهي تتناول الفطور مع لويزا، قبل الذهاب إلى العمل:

ـ كل ما أذكره من تلك اللحظات هو صرير صوت الإطارات. وما عدا ذلك، فهناك فراغ في ذاكرتي .. أتمنى لو استطيع أن املأه.

كانت لا تزال متأثرة بموت شقيقها... يدل على ذلك شحوبها الدائم. ومع أنها لا زالت في السابعة والعشرين من عمرها، إلا أنها كانت تحس أنها تبدو أكبر بكثير.

وأظهرت لويزا الاهتمام:

ـ أتعتقدين أن رغبتك بتذكر هذا لها هدف محدد؟ متى كان هذا؟

كان واضحاً لماكسين أن المرأة لا تعلق أهمية كبرى على ما تقوله ومع ذلك أجابت:

ـ كنت في طريقي من مشرحة البوليس... لا أذكر شيئاً منذ أن تركتها إلى حين وصولي إلى الطريق العام المزدوج... وهذا الوقت يساوي على الأقل عدة دقائق.

ـ أظن أن هذا طبيعي ماكسين. بعد تشتت أفكارك لما مررت به، لم تستطيعي أن تفكري بشكل مركز. ولم تلاحظي ما فعلتيه، أو إلى أين ذهبت. أنا عندما أكون غارقة بأفكاري، غالباً ما أجد فراغاً في ذاكرتي وأنا أقود سيارتي. وما من أحد منا يركز تماماً على كل محطة توقف أو منعطف.

فقطبت ماكسين:

ـ أحس أن شيئاً ما قد حدث... شيء مهم.

ـ لا تقلقي، لا يمكن أن يكون قد حدث شيء خطير. وإلا لسمعت عنه يومها.

نظرت لويزا إلى الساعة، ثم إلى المدفأة الكهربائية:

ـ يجب أن نتحرك الآن... لماذا يجب على الناس أن يعملوا؟ يبدو البرد قارساً في الخارج!

ـ لقد حدثت عاصفة ثلجية، وسمعتهم يجرفون الطريق باكراً.

وارتجفت ماكسين، فالأيام الباردة تعيد لها الذكرى...

وقالت لويزا:

ـ أرجو أن لا تتوقف الباصات عن العمل. لقد تأخرت عن العمل مرتين خلال العشرة أيام الأخيرة... ومن الجيد أن يكون رب عملي متفهماً.

ـ وكذلك أنا. فرب عملي كان رائعاً متفهماً لظروفي لعدة

www.elromancia.com

سنوات... وكان دائماً يمنحني فرصة للاهتمام بكيم.

مرة أخرى... اضطرت ماكسين إلى طلب اجازة من رب عملها... فقد استلمت ذلك الصباح رسالة تفيد بأن هناك وصية تركت لها مما يتطلب حضورها إلى مكتب المحامي... وقالت للويزا وهي تعطيها الرسالة لتطلع عليها:

ـ لا استطيع التفكير بمن تركها لي... إلا إذا كانت تلك العمة التي ذكرتها لك، لكنها كانت فقيرة. وعلى كل الأحوال، إنها لم تتصل بنا منذ اكثر من اثنتي عشرة سنة.

تبين لها في مكتب المحامي أن الوصية تركتها لها سيدة تدعى «ڤالوري»... ومرت دقائق طويلة قبل أن تتذكرها ماكسين:

ـ اه... إنها السيدة العجوز التي كنت أقف لأتحدث معها وأنا عائدة من العمل! كانت دائماً تقف بباب منزلها، عندما يسمح الطقس، وكنت أتوقف بضع دقائق لأتحدث معها بعد نزولي من الباص. كانت تعيش وحيدة وكنت أحس بالأسف عليها... يبدو أنها كانت تقضي حياتها واقفة هناك، تراقب المارة.

فابتسم المحامي:

ـ حسناً، يبدو أن السيدة ڤالوري كانت ممتنة لك لاعطاءها القليل من وقتك. لقد أوصت بأربع وصيات لأشخاص كانوا لطفاء معها في أواخر أيامها. ومبلغ ألفي دولار ليس بالمبلغ السيء، آنسة مارتن. هل لديك فكرة كيف ستستخدمينه؟

هزت رأسها شاعرة بالدوار لهذه الهدية:

ـ يجب أن أفكر. وأعقل ما قد أقوم به أن أوفره ليوم كالح.

ـ لماذا لا تأخذين إجازة؟ لقد ذكرت أنك لم تأخذي إجازة منذ زمن طويل.

ـ أجل... أنت محق... لقد قتل شقيقي في حادث منذ سنتين. ولم أتغلب على حزني بعد... ولطالما نصحني رب عملي بأن اخذ عطلة، لكنني كنت أحس أنني لن استطيع.

ـ كم كان عمر شقيقك.

وأخبرته ثم انطلقت ماكسين تعطي الرجل صورة عن حياتها بعد موت والديها عندما كانت في السابعة عشرة فقط... قال المحامي يحثها بلهفة:

ـ خذي إجازة إذن. ما رأيك برحلة بحرية؟ فهواء البحر دواء ناجع.

رحلة بحرية؟!...

تهللت لويزا للفكرة. وقالت لماكسين:

ـ أنا وبيرت سنزور أمي في عيد الميلاد... فلماذا لا تسافرين أنت أيضاً؟ هناك رحلات ميلاد رائعة. لقد شاهدت إعلاناً عن إحداها إلى الكاريبي.

وأعياد الميلاد وقت تخشاه ماكسين كثيراً... فهو يعني البقاء وحيدة... أجل... ستكون فكرة رائعة السفر في مثل هذا الوقت.

عزفت الفرقة الموسيقية لحناً مثيراً والسفينة البيضاء الكبيرة تتحرك ببطء مبتعدة عن مرساها في ميناء ڤنكوڤر... ووقفت ماكسين مع العشرات من الركاب عند الحاجز، ولم تستطع إلا أن تشعر بالإثارة للتفكير بالرحلة... إنها رحلة لثلاثة أسابيع، والسفينة ستزور العديد من جزر الكاريبي: سانتا لوسيا، وندورد أيلاندز، كايمنز والعديد غيرها. وستكون بالفعل رحلة مثيرة... وصممت ماكسين على أن تقوم بجهد كبير لتتمتع برحلتها، مسدلة الستار على مآسي الماضي. وبينما هي غارقة في تأملاتها سمعت رجلاً يقول:

www.elromancia.com

ـ اوه... أنا آسف جداً! هل آلمتك؟

فتألمت ماكسين قليلاً لكنها ابتسمت:

ـ لا... بالطبع لا.

ـ لا بد أنني آلمتك بدوس اصابع قدمك بقدمي الضخم الأخرق. سامحيني فقد كنت أود مراقبة الفرقة الموسيقية.

للرجل لكنة أميركية وابتسامة مرحة. وأخذ من مكانه على السطح يراقب الفرقة الموسيقية تبتعد في صف متوازٍ عن الرصيف، الذي كانت السفينة تبتعد عنه. ثم أضاف، وكأنما يحدث نفسه:

ـ حسناً... ها قد انطلقنا. اتساءل ماذا يفعل أولادي الآن؟

راقبته ماكسين يبتعد، من المحتمل أن زوجته لم ترافقه، فهو لم يذكرها عندما تمتم متسائلاً عن أولاده... لكنها سرعان ما التقت به ثانية على مائدة العشاء تلك الليلة... فابتسم سعيداً برؤيتها:

ـ إذن ستتشارك نفس المائدة في هذه الرحلة؟

حدقت الفتاة الصغيرة الجالسة قربه بماكسين طويلاً، ثم نظرت إلى شقيقها الجالس قبالة والده، يرمقها بنظرة جانبية، ثم أطرق محولاً نظره إلى اصابعه وأخذ يصفر. وقال الرجل متابعاً كلامه:

ـ اسمي كورت دايفرز، وهذان ولدي، كولين في الثامنة، وهذا مورغان في السادسة.

ونظر بسرعة إلى ولديه:

ـ قولا مرحباً للسيدة!

ردا بصوت واحد:

ـ مرحبا.

وابتسما لبعضهما... فابتسمت ماكسين بدورها:

ـ مرحباً... اسمي ماكسين مارتن.

ـ اسم جميل... انسة كما أعتقد؟

ـ هذا صحيح.

بعد لحظة سألتها كولين:

ـ هل أنت كندية؟

ـ أجل.

ـ نحن أميركيون. عشنا في كندا مع أمنا... لكنها ماتت الآن. لذا سنعيش مع والدنا... كما لا بد لاحظتِ كانا منفصلين.

أحست بالاحمرار حرجاً لصراحة الطفلة. كما أحست بالأسف على الرجل. لكنه ابتسم وقال:

ـ إنه من غير الممكن منع الأطفال عن الكلام، إنهم يبوحون بكل شيء... كان لزوجتي حق حضانتهم، وكما قالت كولين أخذتهما ليعيشا معها في كندا، فهي كندية. لقد ماتت منذ ثلاثة أسابيع. وهكذا، هما الآن معي.

فقال له ابنه الصغير:

ـ لكننا كنا نعيش معك من قبل. كنا نعيش معك شهرين من كل سنة.

قالت كولين:

ـ أحببنا السكن معك، فالطقس دافىء ومشمس... بينما كندا باردة وممطرة.

قال كورت لماكسين:

ـ أعيش على جزيرة سانتا لوسيا... لكن أعمالي في نيويورك، وهذه مسافة بعيدة عن سكني، لذا أنا مضطر لاستخدام مربية للولدين.

ـ إذن ستترك السفينة في سانتا لوسيا؟

فهز رأسه بالايجاب وسألها:

ـ أما أنت فستكملين الرحلة على ما أعتقد؟

www.elromancia.com

ـ أجل... فأنا متشوقة لرؤية أكبر قدر من جزر الكاريبي.

فضحك:

ـ ولرؤية رقص «الليمبو» والاستماع إلى الفرق النحاسية؟

ـ صحيح... هل هذ الفرق جيدة كما تقول عنها كتب الاعلانات؟

ـ إنها بالفعل جيدة. وستتمتعين بكل لحظة من زيارتك للمطاعم والنوادي الليلية. فمنظمو الرحلة ينظمون لكم العديد من السهرات ورحلات الاستكشاف.

ـ أجل... لكنني لم أحجز لأي منها.

ـ لم تحجزي بعد؟ يجب أن تسارعي لحجز تذكرة وإلا بيعت كلها.

ـ هل بإمكانك نصحي برحلة استكشاف ما.

فوعدها كورت أن يتباحثا في الأمر فيما بعد عندما يخلد ولداه للنوم. لكن الولدان احتجا قائلين إنهما لا يودان النوم إلا حين ينام أبوهم لكنه قال بحزم:

ـ ستذهبان إلى النوم في الثامنة والنصف، وهذا يكفيني منكما لهذا اليوم.

فعبست كولين، وهددت:

ـ سأشتكيك لعمي نويل!

ـ عندها ستنالين صفعة على قفاك أيتها الشابة! فعمك نويل لا يطيق الكلام الهراء. وأنت تعرفين هذا.

بعد قليل من الصمت، سألته ماكسين:

ـ هل لك أخ؟

فابتسم كورت للسؤال:

ـ لا... نويل هو أقرب جار لي على الجزيرة... وبما أنه يحب

الأولاد، فأولادي يقضون معظم وقتهما عنده.

فقاطعته كولين:

ـ إنه يحب البنات كثيراً.

فصاح مورغان بشقيقته عبر الطاولة:

ـ ويحب الصبيان كذلك!

فأجابته بعناد:

ـ أجل... قليلاً... لقد أخبرني أنه يحب الفتيات الصغيرات... وليس الكبيرات. الصغيرات فقط.

فسارع كورت للقول:

ـ لقد مر بتجارب مؤسفة مع النساء... لنعد إلى ما كنت أقول: إنه جاري وولداي يناديانه بعمي. كان يجب أن يكون له أولاد، كما أقول له دائماً، لكن يبدو أنه غير مهتم بالزواج.

ـ وهل هو فرنسي؟

ـ إنه مزيج جذاب، أبوه فرنسي، جدته لأمه كانت انكليزية أما جده فأميركي والنتيجة أن لنويل شخصية مثيرة للاهتمام، وهو حلم أية امرأة نظراً لشدة وسامته.

ـ مع كل هذا لا يهتم بالزواج؟ كم هذا أمر غريب.

كانت ماكسين تفكر بحبه للأولاد عندما قالت هذا. لكن اهتمامها زاد عندما سمعت كورت يذكر عمره، وتساءلت كيف نجا من شبكة الزواج حتى الآن وعلّقت متعجبة:

ـ أربعة وثلاثون؟ كان يجب أن يتزوج منذ زمن طويل نظراً لما قلته عن جاذبيته... أعني أنه قادر على الحصول على من يريد كما تبدو الأمور لي.

ـ لا شك في هذا... فالنساء ينظرن إليه باهتمام طوال الوقت... تعرفين ماذا أعني؟... يجدن صعوبة بعدم التأثر

www.elromancia.com

بسحره... لكن دون جدوى... فهو لا يهتم مطلقاً...

فقاطعتهما كولين وفمها مليء بالطعام:

ـ هذا لأنه يحب الفتيات الصغيرات فقط.

فغمز كورت ماكسين:

ـ سأخبرك كل شيء فيما بعد.

عندما عادا للقاء فيما بعد، في غرفة المقصف، جلس كورت على الكرسي قبالتها... وأسند ظهره إلى ظهر مقعده:

ـ لقد أرهقني هذا الولدان.

أخذا يتفرجان على راقصات يؤدين رقصة استوائية أمام فرقة موسيقية... وبقيت ماكسين صامتة لإحساسها أنه يريد الهدوء. كانت عيناه تغمضان بين حين وحين وكأنه متعب... لكنه عاد وفتح عينيه مبتسماً... وأعجبتها تلك الابتسامة، إنها صادقة، ودودة، ومرحبة، وقدّرت، أن عمره خمسة وأربعون، كم كان عمره عندما تزوج؟ لكنه فيما بعد قال إن عمره اثنان وخمسون، مضيفاً أنه يبدو أصغر سناً نظراً للحياة المريحة التي يعيشها، إضافة إلى أنه يعيش وحيداً منذ خمس سنوات ونيف. وأضاف:

ـ هذا أمر يحصل للكثير من الناس هذه الأيام، وربما هذا هو سبب بقاء نويل عازباً... لكن لا... فأنا أعزو هذا لتجاربه، فقد حلت مكان أمه المتوسطة العمر، لعوب في الثانية والعشرين تملكت أباه إلى أن مات وحصلت على معظم ثروته... وماتت أمه قبل والده ببضع سنوات، وقد وفر لها نويل حياة مترفة مريحة، وهو من دخل معترك الأعمال صغير السن، ونجح نجاحاً أسطورياً... إنه الآن مليونير.

ـ إذن لقد كره النساء منذ صغره، كما هو ظاهر؟

ـ بالتأكيد كره تلك المرأة. ثم منذ خمس سنوات تقريباً تعلق

بسمراء كان معظم الرجال يلاحقونها. وبدت تناسبه تماماً. لكنها التقت برجل أغنى منه، إضافة لامتلاكه لقباً، نتج عنه قطع علاقتهما في وقت كان الجميع يتوقع إعلان خطوبتهما. لكن كل المظاهر تقول إنه تغلب على الصدمة.

ـ يجب أن يكون قد تغلب على صدمته بعد خمس سنوات.

ـ لا يمكن لأحد أن يتكهن مع الحب... ألديك حبيب شاب؟

ـ لا.

ـ استنتجت هذا... وإلا لما قمت بهذه الرحلة بمفردك.

لهجته كانت توحي بالنكتة، لكنها امتنعت عن الدخول في تفاصيل عن حياتها... إلا أنه عاود نفس الحديث بعد فترة من الصمت:

ـ لم أخبرك بكل شيء بعد عن نويل... لقد كان له شقيقة تعلق بها كثيراً... أرسلها إلى لوس انجلوس لتتعلم التمثيل فقد كانت تعشق هذه المهنة منذ صغرها. وعاشت هناك مع أصدقاء أخيها. وما إن بلغت العشرين من عمرها حتى كانت قد مثلت فيلمين وعدة برامج تلفزيونية... كان دائماً يسافر إليها ويأخذها في نزهات عبر أميركا وكندا، وأحياناً إلى أوروبا، ثم يجيء بها إلى سانتا لوسيا لقضاء العطلات... منذ سنتين تقريباً، كانا في كندا... لكنهما قررا العودة إلى لوس انجلوس لقضاء الميلاد هناك.

سنتان، وشدت ماكسين قبضتيها، وأجبرت نفسها أن لا تفكر بمأساتها. لكنها سمعت نفسها تسأله:

ـ وماذا حدث؟

ـ كانا في سيارة أجرة متجهين إلى مطار ڤنكوڤر عندما حصلت حادثة قتلت فيها شقيقته...

www.elromancia.com

ـ قتلت! اوه كم هذا مريع؟

ـ أجل، كان الأمر مريعاً... ضربة كبيرة لنويل. خرجت سيارة تقودها امرأة من شارع جانبي إلى الطريق العام، دون أن تبطىء سيرها أو تطلق الزمور، وحاول السائق تفادي الاصطدام مبتعداً بالسيارة إلى الجهة الأخرى لكنه اصطدم بعمود الكهرباء... وتابعت المرأة سيرها مسافة قريبة حيث توقفت قليلاً ثم انطلقت فجأة. وتمكن حينها أحد الأشخاص من رؤيتها.

ـ كم هذا فظيع! ألم يلق القبض عليها؟

ـ لم يتمكنوا من العثور عليها. قال الشاهد إنها تمتمت بشيء لم يفهمه قبل متابعة سيرها، وكان الوقت ظلاماً فلم يستطع تسجيل رقم السيارة. وعندما عاد نويل إلى سانتا لوسيا، كان محطماً.

وصمت كورت بعد أن لاحظ شحوب ماكسين:

ـ لمَ هذا الشحوب؟

ـ أخي قتل منذ سنتين أيضاً... قبل يومين من الميلاد، ولا بد أن شقيقة كورت قتلت في نفس الوقت تقريباً...

ـ شقيقك؟ كم أنا آسف... ما كان يجب أن أتحدث بالأمر لو أنني كنت أعرف أن هذا الحديث سيجدد حزنك... سامحيني يا طفلتي العزيزة...

ـ لا يمكن لومك، فأنت لا تعرف بأمر مأساتي.

ـ لا... ما هذه المصادفة الغريبة... شقيقك وشقيقة نويل يقتلان في نفس الوقت تقريباً. وكلاهما في حادثين للسير على الطرقات.

ـ أجل... إنها مصادفة غريبة جداً. ولقد فهمت الآن لماذا يكره نويل النساء... تلك الفتاة الشابة تنتزع حياتها وهي على وشك بلوغ قمة النجاح.

ـ وكانت جميلة جداً أيضاً... فاتنة، وكنا نحبها جداً.

وقف كورت فجأة ومد يده إلى ماكسين:

ـ تعالي... دعينا نرقص! لن نتحدث بمثل هذه الأمور بعد الآن!

عند منتصف الليل جرى استعراض راقص. بعده مباشرة، قالت ماكسين إنها تود الذهاب للنوم، فتركا الملهى معاً. بعد أن كانا قد تحدثا إلى زوجين على طاولة مجاورة، لهما ولدان من نفس سن ولدي كورت وقالت الزوجة، ديانا:

ـ لدينا حفلة نود حضورها، فإذا أمكن أن ترعيا ولدينا، فسنرد لكم الجميل برعاية ولديكما إذا رغبتما في النزول إلى الشاطىء في جزيرة كايمنز يوم الأربعاء.

أجاب كورت وهو على وشك المغادرة مع ماكسين:

ـ بكل تأكيد... سنبحث الأمر غداً.

لكن بابتعاده وماكسين عن الزوجين، اقترح أن يذهبا لمشاهدة الجزيرة معاً والتعرف إليها.

ـ دعيني آخذك إلى هناك لنحضر الاستعراض الغنائي وحفلة الشواء ثم نرقص بعدها. ستحبين المكان كثيراً.

ـ شكراً لك... لطف كبير أن تدعوني.

ـ لا داعي للشكر، فأنا أعتبر نفسي محظوظاً لوجود شخص لطيف مثلك لمرافقتي. وإذا كنت لا تعتبرينني عجوزاً مملاً أود أن أكون رفيقك إلى أن نصل سانتا لوسيا... أيمكنني هذا ماكسين؟

ـ سأحب هذا كثيراً، وسأشعر بالسعادة برفقتك كورت.

ـ عامليني كوالد لك...

وقبل خدها قبل أن تدخل مقصورتها.

● ● ●

www.elromancia.com

٢ ـ جمعتهما الوحدة

في اليوم التالي لعبور السفينة قناة بنما، رست عند ميناء جزيرة كايمنز الكبرى... واستقل كورت وماكسين التاكسي للذهاب إلى فندق «ترووبيكانا» حيث تناولا الطعام بين الأشجار، ثم رقصا بعد ذلك على أنغام فرقة موسيقية محلية، وقدمت راقصات «الليمبو» استعراضاً وفيما بعد تمشيا على طول الشاطىء، وأمواج الكاريبي تغسل الرمال، والسماء فوقهم تشع بالنجوم.

وانحنت ماكسين لتلاعب الماء بيديها:

ـ إنها دافئة جداً... بالامكان السباحة فيها، حتى الآن وفي منتصف الليل... فكر بالأمر... إننا في شهر كانون الأول!

ـ أنت الآن في مناطق استوائية يا عزيزتي. ومن الغريب أن لا يكون الطقس دافئاً، ومع ذلك فقد يهطل المطر.

ـ أنا سعيدة لأنها لم تمطر... فمن الرائع أن نستطيع التنزه في الخارج طوال الوقت.

أخرجت يدها من الماء وتراجعت، أكثر مما توقعت، باتجاهه فمد يده إليها يجفف يديها بمنديله، محدقاً في وجهها:

ـ أنت فتاة لطيفة... لماذا لم يكن لك حبيب شاب قبل الآن؟

ـ لم يكن لدي الوقت الكافي لمثل هذا. كنت أعتني بشقيقي كيم، وأعمال المنزل كثيرة... ولم أكن ألتقي برجال... ما عدا من

ألقاهم في حفلات الشركة وبعض الحفلات التي يقيمها اصدقائي.

ـ ألم تندمي على هذا بعد؟

وضع المنديل في جيبه لكنه أبقى يدها بيده. فأجابت:

ـ لا... فأنا مؤمنة بالقضاء والقدر... ولو كان مقدراً لي الزواج فسيظهر الرجل المناسب في حياتي... من مكان ما.

وضحكت... فتنهد:

ـ أنت محقة... أجل أنت محقة!

سحبت يدها منه لكنها لم تتحرك. كانا يقفان عند حافة الشاطىء وأمواجه تغسل أقدامهما، بينما الرذاذ يتناثر على وجهيهما. رفعت نظرها إليه وقد أحست من كلامه بأنه حزين... فعلم بما تفكر به، فأخبرها أنه كان يحب زوجته جداً حتى وقت فراقهما.

ـ لست أدري غلطة من كانت... ربما غلطتي... أعتقد أن النساء يفضلن الرجل المتسلط، وأنا لست من هذا النوع، فأنا أخشى دائماً أن أسبب ألماً للناس. وأعتقد بأنني لست رجلاً بما يكفي.

ـ بالطبع أنت رجل! لا يجب أن تقول هذا!

ـ شكراً يا عزيزتي! أنت فتاة لطيفة... لكنها كانت غير سعيدة معي لفترة طويلة قبل أن تطلب الفراق... أظنها كانت... تخجل بي.

فشهقت ماكسين:

ـ هذا مستحيل! كيف اكتسبت هذا الانطباع؟

ـ لا أعني أنها خجلة من مظهري الشخصي ماكسين. بل ربما لم تكن فخورة بي كرجل. عندما تشاهدين نويل ستفهمين ما أعني.

ـ لكنه قد يكون واحد من بضعة الاف... وهذا لا يعني أن الآخرين يجب أن يكونوا مكروهين... على كل قد يكون نويل هذا يفتقد اللطف الذي تملكه. فأمثاله عادة، متعجرفون.

www.elromancia.com

فابتسم كورت وذكرها أنها تتحدث عن صديقه، فأجفلت ماكسين وحاولت الاعتذار.

ـ كيف أنسى هذا؟ أنا آسفة.

ـ لا تقلقي يا عزيزتي فالأمر ليس مهماً.

ـ لم أفكر بالأمر وإلا لما تحدثت عن صديقك هكذا.

حاول تغيير الموضوع قليلاً:

ـ سيكون الآن متشوقاً لرؤية الأولاد، وسيكون سعيداً لإقامتهما معي دائماً.

وتابعا السير على الشاطىء بهدوء. ومن الفندق خلفهما تسنى لهما سماع الموسيقى وتنشق رائحة الزهور، فسألته بعد طول صمت:

ـ هل سانتا لوسيا جميلة مثل كايمنز؟

ـ نحن نعتبرها الأجمل. فليس فيها فقر... فهنا يوجد هوة كبيرة بين الغني والفقير. أما سانتا لوسيا فمعظم الملاكين فيها من الأميركيين. ومستوى العيش فيها جيد... ومن المؤسف جداً أنك لن تمكثي فيها طويلاً. لكنت جلت بك فيها.

ـ سأحجز مع رحلة استكشاف على الأقل وسأتمكن من التفرج على بعض المناظر.

ـ أظن السفينة ستبقى هناك تسع ساعات؟

ـ أجل... سنصل التاسعة صباحاً وتغادر عند السادسة مساء.

ـ هذا لن يكفي... يلزمكم ساعة للتحضير للرحلة، ثم عليكم النزول إلى الشاطىء بالقوارب الصغيرة... ومن المؤسف أنك لن تري الكثير من جزيرتنا الجميلة.

ـ ما من محطة في رحلتنا تكفي. يجب أن نبقى هنا مثلاً لأسبوع. كل ما نملكه بضع ساعات.

عندما عادا إلى السفينة قالت له:

ـ لقد قضيت أمسية ممتعة... شكراً لك كثيراً يا كورت.

ـ شكراً لك عزيزتي فقد أسعدتني رفقتك.

صباح الميلاد جلس الجميع لتناول الفطور، وقال كورت بنبرة يشوبها الندم:

ـ حسناً... ها نحن يا ماكسين على وشك الوداع. لقد ساعدتني برعاية الولدين... ونظفت ثيابهم وكويتها...

ـ لم يكن هذا بالكثير... كنت أقوم بغسل وكوي ثيابي، فلم أكن أجد أي مشقة...

وقالت كولين:

ـ نريدك أن تأخذي هذا السوار... إنه جميل... ومن الذهب.

فقال مورغان بحماس:

ـ سيبدو عليك جميلاً عمتي ماكسين. كان لأمي مئات مثله!

وقال والده:

ـ ليس المئات مورغان... لا تبالغ.

وضعت ماكسين السوار في يدها، وأخذت تتأمله وهي تحس بالندم لأنها لن تراهم بعد الآن. كورت بالرغم من حزنه لوفاة زوجته التي تصغره بسبعة عشر سنة، فقد كان سعيداً لاستعادته أولاده للعيش معه. فهو يملك منزلاً على التلال، كما قال، لكنه لم يعد إلى ذكره.

كولين ذكرت وجود بركة سباحة فيه، وذكر مورغان ملعب تنس، لذا افترضت ماكسين أن يكون منزلاً فخماً.

وفاجأ مورغان الجميع بالقول دون مقدمات:

ـ لماذا لا يمكن لعمتي ماكسين أن تحضر معنا؟ المسافة ليست بعيدة في السيارة. ثم نعود لتوصيلها والتلويح لها مودعين.

فقال كورت بسرعة:

ـ لقد فكرت بهذا ماكسين. لكنني لم أذكره لك لأنني عرفت أنك

www.elromancia.com

تريدين الاستفادة قدر المستطاع من زيارتك للجزيرة... ومن المؤسف أنني مضطر للذهاب رأساً إلى المنزل مع الأولاد وإلا لقضيت كل يومي معك.

فتوسلت كولين:

- أرجوك تعالي معنا... أريدك أن تأتي.

وأكد لها كورت:

- سنحب جداً أن نستقبلك... سأنشغل عنك ساعة فقط ثم أعطيك كل وقتي. سنأخذك في رحلة بالسيارة... والأمر عائد إليك عزيزتي!

وقبلت، بعد أن قررت أن التفرج على الجزيرة سيكون الأفضل لها من بقية الركاب، فالسواح الذين سيرافقونها في الميني باص لا تعرفهم وهم غرباء بالنسبة إليها.

تركوا السفينة بعد نصف ساعة، بواسطة قارب سريع... إلى ميناء «كاستريس» عاصمة الجزيرة. وماكسين التي اصطبغ وجهها بالحمرة من الإثارة لمعت عيناهاالزرقاوان بلون ليلكي لا يظهر إلا عندما تكون سعيدة. وتطلعت من حولها... كانت الأرض ترتفع حول الميناء، خضراء خصبة، والنخيل يتمايل باتجاه الأفق حيث تلوح بضع غيوم بيضاء متناقضة مع زرقة السماء الاستوائية... على بعد قليل من الميناء، تعالت تلتان تتوشحان خضرة تتخللها المباني... واستدارت ماكسين إلى كورت:

- إنها رائعة الجمال...

ثم لاحظت تقطيبة على وجهه فسألته:

- هل حدث شيء؟

- كان يجب أن تكون سيارتي منتظرة مع السائق، فماذا حدث يا ترى؟

بعد ربع ساعة استدعى كورت سيارة تاكسي يقودها أحد المحليين، الذي فتح الأبواب لهما وقال بلهجة أميركية:

- سأوصلكم سيدي بأسرع وقت ممكن!

بعد الانطلاق سألته ماكسين:

- يبدو أنه يعرفك.

- إنها جزيرة صغيرة.

لكنها عرفت فيما بعد أنه أحد أغنى سكانها، وسألها السائق:

- أكنت هنا من قبل سيدتي؟

- أبداً.

- أنت هنا إذن للنزهة؟

فرد كورت:

- لقد جاءت معنا في السفينة السياحية. وهذه أول زيارة لها إلى الكاريبي.

- جزيرتنا الأفضل بين جزر الكاريبي. وسكانها الأميركيون يعرفون كيف يديرون الأمور... لذلك سترين أننا سعداء هنا!

- وهل أنت أميركي؟

- طبعاً... لقد قلت لك إن الأميركيين يعرفون كيف يديرون الأمور. أترين تلك الحفرة هناك؟ نحن نحفر حفرة كل يوم ثم نردمها، وفي اليوم التالي نحفر غيرها لنضع الأنابيب فيها ثم نردمها... فنحن نحب أن تظل الحفر تزين الشوارع!

فضحكت ماكسين:

- يبدو أن لدينا أمور مشتركة... فالكنديون كذلك يحبون الحفر في الشوارع.

- صحيح؟ أتعنين أنهم يحفرون الطرقات ثم يصلحونها، ثم يعيدون حفرها؟

www.elromancia.com

ـ هذا صحيح!

فضحك السائق:

ـ مجانين... أتريد السيدة تاكسياً يعيدها إلى السفينة؟

فأجابه كورت:

ـ لا شكراً سأوصلها بنفسي في سيارتي.

ـ كنت أعتقد أن سيارتك في انتظارك.

ـ كان يجب أن تكون هنا... ولست أدري ما الذي طرأ.

أخذت السيارة تصعد بهم في طريق جبلي يوصلهم إلى الطرف الآخر من الجزيرة، ومع كل منعطف كان يبرز منظر يقطع الأنفاس بسحره... كل الخلجان والجزر الصغيرة المحيطة بالجزيرة الرئيسية أصبحت بارزة الآن من هذا المكان المرتفع. كل تلك الجزر كانت قمماً بركانية غائرة في مياه المحيط...

وأشار كورت إلى جزيرة بعيدة:

ـ تلك «سانت فنسنت»، إحدى جزر «وندورد» والتي بقربها «أميرالدكاي».

ـ هل هذه الجزر الصغيرة الأخرى مسكونة؟

ـ صحيح سيدتي... لكن هناك واحدة غير مسكونة لأن بركانها يعمل... لدينا هنا أمطار جيدة لذلك ندعو جزيرتنا «جزيرة الجنة»!

فابتسمت ماكسين لأنها تذكرت أن سائق التاكسي في كايمنز أطلق على جزيرته نفس التسمية.

وأخيراً، خففت السيارة سرعتها لتدخل من بين بوابتين حديديتين فخمتين... وما إن برز المنزل حتى شهقت ماكسين، وقالت بصوت أعلى من الهمس بقليل:

ـ لم يكن لدي فكرة كورت...

وتوقفت عن الكلام عندما ضحك كورت... كم هو متواضع!

لم يذكر مطلقاً مدى ثرائه أو كم هو رائع منزله. قال السائق وهو يفتح لهم أبواب السيارة:

ـ حسناً سيد دايفرز... يبدو أن السائق بيتر ليس هنا.

ـ لا... أظنه وصل متأخراً إلى الميناء وهو الآن في طريق العودة، لكن من العجيب أننا لم نشاهده على الطريق.

دخل الأربعة المنزل، بعد دفع أجرة التاكسي لتلقاهم عند الباب خادمة محلية تناولت الحقائب منهم، فقال كورت:

ـ نتناول بعض القهوة ثم أتركك للأولاد يجولان بك في المنزل والحديقة لمدة ساعة إلى أن أنهي عملي.

قرع الجرس، فظهرت مدبرة المنزل رونزا، فنظرت إلى ماكسين ثم إلى كورت بفضول، وقال لها:

ـ الآنسة مارتن ستمكث معنا بضع ساعات. ونريد بعض القهوة أرجوك.

ـ أجل سيدي... سأحضرها لكم في الحال.

وسألت ماكسين متعجبة:

ـ أيتكلم المحليون الانكليزية بطلاقة؟

ـ الانكليزية هي اللغة الرسمية هنا... لكن المحليين لديهم لغة خاصة، هي خليط من الفرنسية والإسبانية والألمانية والهولندية، وهذه نتيجة لرغبة تجار الرقيق في تعليم عبيدهم لغاتهم الأوربية. لكن اللغة الانكليزية تغلبت على لغتهم المتمازجة، في السنوات الأخيرة. ونحن هنا في مجتمع غني لكل منه حصته.

أخذ كورت يتفحص بريده، ثم قال لها:

ـ سأتأخر أكثر مما ظننت ماكسين... هناك بضع مكالمات خارجية وعليّ انتظار الرد عليها... وهذا هو نتيجة الابتعاد والسفر... ينتظرني دوماً عمل كثير لألاحقه عندما أعود.

www.elromancia.com

ـ لا تقلق بشأني كورت سأكون سعيدة بالتفرج على حديقتك الجميلة.

ـ شكراً لك عزيزتي ستتناول القهوة ثم أراك عند الغداء.

وصل السائق بيتر بعد الظهر، بعد اتصاله سابقاً ليقول إن السيارة تعطلت وانه اضطر إلى إصلاحها في كاراج... وهكذا لم يعد بالإمكان الخروج بنزهة، ومع أن كورت بدا آسفاً لخسارتها فرصة رؤية الجزيرة إلا أنه بدا مرتاحاً لتصرفاتها القانعة، فقد أقنعته بأنها سعيدة بالتجول مع الولدين واللعب معهما في الحديقة:

ـ ولقد سبحنا كذلك، وجدت لي كولين بيكيني في مكان ما.

ـ لا بد أن شقيقتي تركته عندما زارتنا منذ بضعة أشهر، إنها تعيش في فلوريدا.

ودون انتظار، حل موعد رجوعها إلى السفينة، وأحست بالحزن. لكنها كانت سعيدة كذلك بصحبة كورت خلال الأيام الماضية التي مرت وأنستها ذكرى مأساة أخيها السنوية... فودعت رونزا التي تمنت لها رحلة موفقة، ثم اتجهت مع كورت والولدين إلى السيارة. بعد عشر دقائق... كان بيتر يهز رأسه يائساً بعد أن حاول إدارة السيارة للمرة الأخيرة:

ـ ما من فائدة فهذه اللعينة لن تعمل. فما تعطل فيها لم يصلحه الكراج تماماً. وهذا واضح.

فقالت كولين بسرور لم تحاول اخفاء:

ـ ألن تستطيع عمتي ماكسين العودة إلى السفينة؟

فأجابها والدها بهدوء:

ـ عمك نويل سيوصلها. سأتصل به حالاً.

فنظرت ماكسين إليه مذهولة:

ـ نويل؟ ألن يمانع؟

ـ أبداً.

ودخل المنزل... لكنه لم يجد نويل، ومع أنه اتصل فوراً بسيارة تاكسي، فقد مرت نصف ساعة ولم تصل. ووصل نويل في هذه الأثناء وتلقى الرسالة التي تركها كورت فسارع إليه.

كانت ماكسين برفقة كورت على الشرفة، فركضا نحوه وبسرعة قدمهما لبعضهما فتمتمت:

ـ كيف حالك.

صدمت بعظمة نويل بالرغم من الوصف الذي حصلت عليه من كورت. ولم تستطع نزع عينيها عن وجهه المتكبر، القوي الخطوط والتقاسيم. حاولت كولين رمي نفسها على نويل لكن والدها أمسك بيدها وقال:

ـ نويل... السفينة تبحر عند الخامسة.

ـ الخامسة! ادخلي آنسة مارتن.

وفي لحظات كانا على الطريق راحت ماكسين تلقي آخر نظرة على خليج «مايغن» عندما سمعت صيحة يأس من السائق. أمامهم عند المنعطف، اصطدمت سيارتان ونجا ركابها من أي أذى، فقد كانوا يتحلقون حولهما. إلا أن الطريق مسدودة تماماً.

خرج نويل من سيارته ليساعد في إزاحة إحدى السيارتين فاستغرق هذا وقتاً... وما إن وصلت السيارة إلى مكان يشرف على السفينة حتى شاهدتها ماكسين تتحرك عن المكان الذي كانت ترسو فيه. فتوقف نويل ليستدير ويلاحظ شحوب وجه ماكسين... فقال لها بلهجة عادية:

ـ يجب أن تطيري إلى الميناء المقبل الذي ستتوقف السفينة فيه.

www.elromancia.com

أين هي محطتها المقبلة؟

ـ في تورتولا... كل حقائبي على متنها!

فرد بسخرية:

ـ هذا ما توقعته. متى تصل السفينة إلى هناك؟

ـ تغادر عند العاشرة من صباح الغد... وتغادر بعد اثنتي عشرة ساعة.

فهز كتفيه وقال:

ـ لا يمكنك الحصول على رحلة في الطائرة بهذه السرعة. أين ستقف السفينة غير تورتولا؟

ـ لن تتوقف قبل الوصول إلى برمودا بعد أسبوع. وبهذا سيفوتني نصف الرحلة.

ـ حظ سيء... لكن ما في اليد حيلة، عليك اللحاق بها إلى برمودا.

عادا إلى منزل كورت الذي لم يستطع التعبير عن اعتذاره وأسفه. والطريقة التي كان ينظر فيها إلى ماكسين جعلت نويل ينظر إليه بفضول، وأخذ ينقل نظره بينهما عدة مرات... وسأل ماكسين:

ـ ألم يخطر ببالك استدعاء تاكسي؟

ـ لقد طلب كورت سيارة، لكنها لم تصل.

ـ هكذا إذاً... يبدو أن قدرك أن لا تلحقي بسفينتك.

نظرت إليه ماكسين منزعجة لعدم تعاطفه معها. وكان كورت يحدثها طالباً إليها عدم القلق، واعداً إياها بترتيب أمر سفرها إلى برمودا.

ـ قد لا يكون الأمر سيئاً لهذه الدرجة عزيزتي... اؤكد لك أنك ستتمتعين بإقامتك هنا. وستكونين سعيدة.

وكان كورت محقاً... فبعد ترتيب أمر السفر بالطائرة. تمكنت

ماكسين من الارتياح، والتمتع بإقامتها على الجزيرة الرائعة... في إحدى غرف المنزل وجدت ماكسين حقائب كبيرة فيها الكثير من الملابس التي كانت لزوجة كورت وقد تركتها عند سفرها مع أولادها. وعندما فتشت فيها وجدت العديد مما يناسبها بالرغم من أنها واسعة قليلاً. فالظاهر أن زوجته كانت أكثر امتلاءً منها وأطول بقليل. ووجدت كذلك العديد من الشورتات والبلوزات المخصصة للسباحة فتمكنت من أخذ حمام شمسي لتضيف سمرة إلى سمرتها التي اكتسبتها على السفينة.

قال لها كورت بعد ظهر أحد الأيام وهما يتناولان الشاي في الحديقة:

ـ سأقيم حفلة. نحن نقيم الكثير منها هنا. وسيحضرها حوالي العشرة أشخاص. وإذا لم تجدي فستاناً ملائماً، فاسمحي لي أن أشتري لك واحداً.

ـ لا يمكن أن أسمح بأن تشتري لي شيئاً، لقد كنت لطيفاً جداً معي... ولا بد أن وجودي سبب لك إزعاجاً.

ـ على العكس، وجودك يعطيني السعادة ماكسين... وكل ما أتمناه أن تتمتعي هنا بقدر ما أتمتع أنا بوجودك.

ـ أنا فعلاً سعيدة بوجودي هنا... ولأكن صريحة، أفضّل كثيراً أن أكون هنا على أن أكون وحدي على متن السفينة.

رفع كورت رأسه لدخول نويل إلى حيث يجلسان تحت شجرة:

ـ أهلاً نويل! لقد وصلت في الوقت المناسب لتناول الشاي.

ـ شكراً.

وأراح جسده على كرسي طويل، ومدد ساقيه أمامه:

ـ جئت اسألك إذا كان بإمكاني إحضار صديقة معي لحفلة الليلة، لقد وصلت مع والديها بالطائرة في زيارة غير متوقعة. لدي ارتباطات

www.elromancia.com

عمل كثيرة مع والدها، ومن الطبيعي أن أدعوهم للضيافة عندي لبضعة أيام. لقد جاؤوا في عطلة احتفالاً بعيد زواجهما الخامس والعشرين واحضرا معهما ابنتهما كارولا وأود دعوتها إلى حفلتك لو سمحت لي.

ـ طبعاً! فليحضروا جميعاً!

ـ مارك ولينـدا يفضلان البقاء في المنزل والراحة. وسيكونان سعيدين في الاستماع إلى الموسيقى.

ـ حسناً... لكن الدعوة قائمة إذا رغبا.

ـ سوف أعلمهما.

وصبت ماكسين فنجان شاي لنويل. وهي تحس بعينيه مصوبتان نحوها. لكنها كانت واثقة أن نظرته لا معنى لها. ونظرت إليه وهي تعطيه الفنجان. فهز رأسه وقال بهدوء:

ـ شكراً لك.

وتابع مع كورت الحديث، مما ترك لها الفرصة لتتفرس في قسمات وجهه عن كثب. إنه وسيم دون شك يملك الجاذبية التي لا تفشل مطلقاً في التأثير على أية امرأة تمتلك ذرة من رومانسية أكانت شابة أم عجوزاً. كما فيه شيء باد وكأنه مناقض تماماً للجاذبية التي في قسمات وجهه... هناك سخرية لاذعة تترك أثراً مؤذياً على الأعصاب، نوع محدد من القساوة مختبئة في هاتين العينين العسليتين أما وجهه المتصلب فهو ينطق بعدم مرونة صاحبه. ولدهشتها كلمها نويل وهو ذاهب:

ـ أتتمتعين بإقامتك الجبرية على الجزيرة، آنسة مارتن؟

ـ جداً... شكراً لك... كورت مضيف فاتن.

وتحولت عينا نويل من كورت إلى ماكسين، يطل من عينيه تعبير

غريب. وظهرت عندها الخادمة رونزا لتقول لكورت إنه مطلوب على الهاتف، فوقف معتذراً، ودخل المنزل... فقال لها نويل:

ـ يبدو أن كورت يشعر بمشاعر أبوية تجاهك.

فارتفع ذقن ماكسين غضباً للسخرية في لهجته وردت ببرود:

ـ لم ألحظ هذا.

اتسعت عيناه، فأحست بلذعهما:

ـ عمت مساء آنسة مارتن.

وتركها جالسة على الطاولة، عيناها تلحقان به وهو يسرع بسهولة ورشاقة إلى سيارته.

●●●

www.elromancia.com

٣ ـ لقاء الغرباء

على الرغم من تأكيدها لكورت أنها ستجد ما هو مناسب للسهرة، فقد بدت ماكسين كئيبة المنظر عندما خرجت من غرفتها باتجاه غرفة الاستقبال حيث كان بعض الضيوف يتناولون الشراب مع كورت. الثوب الذي ارتدته كان أكبر بكثير من مقاسها. لكنها كانت قد ربطته بحزام وجدته بين الثياب... كان ذا لون أحمر صدئي زاد من إبراز بياض بشرتها، التي مالت إلى الشحوب. بعد أن أخبرها كورت بأن السفينة ليست ذاهبة إلى برمودا، لوجود نقص في المياه على متنها واضطرارها للجوء إلى جزيرة أخرى صغيرة للتزود به... وراح يهوّن عليها الأمر، ويعتذر، ويقول لها أن تنسى أمر الرحلة وتبقى ضيفة عنده إلى أن يحين وقت العودة إلى بلدها. حيث تستطيع عندها الحصول على حقائبها من السفينة.

كان نويل يقف قرب باب زجاجي مفتوح عندما دخلت الغرفة. ولم يكن وحده. كان إلى جانبه فتاة في حوالي الواحدة والعشرين، نحيلة، جذابة، عيناها واسعتان، شفتاها ممتلئتان. بشرتها سمراء مما دعا ماكسين إلى الاعتقاد بأنها إسبانية. لكنها علمت فيما بعد أن لون بشرتها الأسمر اكتسبته من حمامات الشمس. فهي ابنة أبوين ثريين، وليس لديها ما تفعله سوى التعرض لأشعة الشمس.

في البداية انشغلت ماكسين بمنظر الاثنين الواقفين عند الباب.

لكنها سرعان ما نظرت حولها لتشهق برعب فقد كانت وحدها بين النساء من لا ترتدي فستاناً طويلاً للسهرة. صحيح أنه رسمي لكنه يصل فقط إلى ارتفاع ربلة الساق... فاحمر لونها، وكادت تتراجع من الغرفة، لكن كورت سارع يمسك بيدها دون أن يلاحظ ما يعيب مظهرها. وقدمها إلى عدة أشخاص، كل النساء نظرن إليها وإلى فستانها، لكن كارولا بعد تعرفها إليها أطلقت ضحكة خافتة حين ابتعدت مع كورت، فسمعت الضحكة وقالت وهي على وشك البكاء:

ـ كورت، لا أريد البقاء، هل لك أن تعتذر بأنني لست على ما يرام، وتتركني أذهب؟

ـ تذهبين؟ ولماذا؟... عزيزتي... أنت تبكين؟

ـ ليس تماماً. لكنني أرتدي ثياباً غير لائقة. لم أتوقع أن ترتدي النساء فساتين سهرة طويلة.

ـ ولم تهتمين؟ تبدين لي جميلة!

ـ لا يا كورت، لا أبدو جميلة. فهذا اللون لا يناسبني فأنا شاحبة جداً. إضافة إلى أن الفستان ليس مناسباً للمناسبة...

وصمتت لتقدم شاب منهما:

ـ كورت، لقد جاء دوري... هل لي أن أتعرف إلى رفيقتك في الرحلة؟ لقد سمعت الكثير عنها من نويل.

فقطب كورت وأجرى التعارف بسرعة ثم قادها بعيداً كي يتهامسا معاً:

ـ كان يجب أن تدعيني أشتري لك فستاناً... فبقاؤك هنا غلطتي. فأنا الملام تماماً للوضع الذي أنت فيه. ورغم كل شيء أعتقد بأنك تبدين جميلة وهذا ما يهم... تعالي لأقدم لك شراباً.

ـ لكن...

ـ لا يمكنك الانسحاب الآن.

ـ تعني أن هذا قد يحرجك؟

ـ لا... بل سيحرجك أنت، عندما تلتقين بالموجودين مرة أخرى.

ـ وهل سيعرفون سبب انسحابي؟... لكنني لن ألتقي بهم مرة أخرى.

ـ ستلتقين بهم... نويل سيأخذ آل أوستند للعشاء يوم الخميس، ومنذ لحظات سمعته يدعو بعض الأشخاص.

ـ وما علاقة هذا بي؟ لست مدعوة.

ـ لقد دعاني إلى حفلته، وأنا سآخذك معي، وأتمنى أن تقبلي.

بعد بضع دقائق، زال الاهتمام بملابسها، ومات نتيجة لهذا حرجها. فقد كانت مثقفة ذكية، كثيرة المعلومات، فتمكنت من المحافظة على اهتمام الآخرين في أي حديث اضطرت للمشاركة فيه. ولم يبتعد عنها كورت كثيراً، بل كان يرعاها، ويأخذها إلى «البوفيه» بنفسه، ويحمل لها طبق طعامها إلى حيث المقاعد المنتشرة في الحديقة، تحت الأشجار أو قرب مساكب الزهور. حيث أضافت النافورة المضيئة جمالاً للأنوار المعلقة بين الأشجار، والأنوار القوية المنبعثة من المنزل... كان المكان وكأنه أرض سحرية، والنسيم البارد يلطف هواء المساء وينشر أريج الأزهار في أرجاء الحديقة.

وسألها كورت وهو يجلس قربها في الحديقة:

ـ سعيدة أكثر الآن ماكسين؟

ـ أجل. شكراً لك كورت.

وتقدم زوجان للانضمام إليهما وجرا كرسيين ليجلسا إلى جانبهما. المرأة ملاصقة لها بينما جلس زوجها إلى الناحية الأخرى من كورت. فكانت المرأة رمادية الشعر أنيقة تحدثت إلى كورت

بعفوية:

ـ أرى أن نويل قد وجد لنفسه سيدة شابة أخيراً؟

فنظر كورت إلى ماكسين بشكل يوحي بأنه طالما سمع ثرثرة هذه المرأة من قبل. ورد عليها وهو ينظر إلى حيث يقف نويل وصديقته:

ـ لا أتصور أن هذا الوصف ينطبق عليها. فهو لم يذكرها من قبل لي ولن يكون متصادقاً معها إلى هذا الحد.

ـ اوه... لكنك مخطىء كورت! لقد شوهد معها أكثر من مرة في نيويورك. لقد ذهب إلى هناك منذ شهرين أتذكر؟ وكانت عائلتها هناك ونويل كان يخرج معها كل ليلة... هذا ما قيل لنا. ثم إنه أقام معهم في منزلهم هناك. ربما غير رأيه بالنساء.

وضحكت، مما أبرز تجاعيد عينيها المخبأة بالماكياج. فسارع زوجها ليقول بصوت عميق متجهم:

ـ كم أود أن أراه يستقر. لقد مر بوقت سيء عندما خسر شقيقته. واعتقدنا جميعاً بأنه لن يتغلب على حزنه.

واستدار إلى ماكسين:

ـ امرأة كانت سبب الحادثة التي قتلت شقيقته، وعاد إلى هنا محطماً من الحزن. أيمكن أن تتصوريه محطماً؟

ـ لا... مطلقاً.

ـ لكنه كان كذلك بالفعل... وأنت تعلم هذا كورت.

ـ أجل... لكنني واثق أنه لم يتغلب بعد على حزنه.

فقاطعتهما السيدة:

ـ لو حدث هذا لي لشعرت بالمرارة لهرب المرأة بفعلتها... ومن المريع التفكير بأنها سببت موت فتاة شابة وهربت. ولو كنت مكانه لصدمت سيارتها بدلاً من الهروب منها.

فقال الزوج:

ـ لا تعرفين تماماً الظروف عزيزتي... لطالما نصحتك بالتروي في الحكم. وربما كان للمرأة عذرها لشرود ذهنها.

ـ وهل هناك عذر للشرود عند قيادة سيارة؟

فقال كورت بحزم:

ـ أبداً... وكان يجب سجن تلك المرأة!

وأعادت الزوجة الحديث عن الفتاة المرافقة لنويل:

ـ كارولا طفلة ساحرة. إنها طبيعية غير متكلفة... إنهما زوجان رائعان. ألا تظنون هذا؟

فردت ماكسين وقد أدركت أن السؤال موجه لها:

ـ أجل... أجل... إنهما كذلك.

لكن الفتاة لم تبد غير متكلفة، فلقد بدت لماكسين سيدة واثقة من نفسها مصقولة بالتجارب... يبدو عليها التصنع... في زينتها وفي كمية الحلى التي تلبسها... مع ذلك لم تستطع الإنكار أنها جميلة مذهلة، ودون شك من نوع الفتيات المفضلات لنويل دواستير لو قرر يوماً الزواج.

وابتسمت المرأة لزوجها:

ـ ها قد عادت الفرقة الموسيقية للعزف، أترقص معي يا عزيزي؟

ـ بالتأكيد عزيزتي.

وقاد الرجل زوجته إلى الغرفة المخصصة للرقص... فوقف كورت قائلاً:

ـ وهل أنت مستعدة للرقص ماكسين؟

ـ أتمانع لو جلست هنا وحدي لفترة؟ فأنا أحب الهدوء والهواء البارد يلفح وجهي.

ـ ابقي إذن... ألا تمانعين في تركك لوحدك؟ يجب أن أقوم بواجبي أمام ضيوفي.

فابتسمت له مؤكدة عدم ممانعتها... وجلست لفترة، ثم وقفت لتسير إلى الحديقة محاولة التعرف إلى أنواع الأزهار. تلك شجرة ياسمين أحمر، وذلك السياج صنع خصيصا لنبتة الدفلى والخبازى المتعرشة... ابتعدت عن الأنوار وغمرت الظلمة الأشجار في ضوء الليل. القمر لم يزد عن كونه هلالاً، والنجوم اختفت وراء بضعة غيوم بيضاء. والمكان هادىء... ساكن، وأنغام الفرقة الموسيقية تضعف وتضعف... حينها سمعت أصواتاً! فتوقفت ماكسين قرب شجرة تتكىء عليها:

ـ لكنك استمريت تنظر إليها!

ـ هذا محض تخيل عزيزتي كارولا.

ـ لقد رأيتك! أنت تحاول أن تثير غيرتي... وأنا أكرهك لهذا!

ضحكة مرحة، ثم:

ـ دموع يا حلوتي؟ لا تكوني سخيفة، أنا لم أنظر إلى سواك.

ـ أنت عابث... وقررت أن أقطع علاقتي بك!

ـ أتتخلين عني؟ وكل هذا بسبب التخيلات... تصورت أنني أنظر إلى صديقة كورت الصغيرة؟

أجفلت ماكسين، لم تكن تتصور مطلقاً أن تكون كارولا تتحدث عنها.

ـ أتخلى عنك؟ لم أكن يوماً فتاتك يا نويل!

فقطبت ماكسين! إلى أين تحاول هذه الفتاة الوصول؟ وتوقفا عن السير فضغطت ماكسين نفسها إلى جذع الشجرة، ممتنة لكون فستانها قاتم اللون.

فقال نويل متجاهلاً ما قالته الفتاة:

ـ ومن يمكن أن يتطلع إلى فأرة صغيرة مثل الآنسة مارتن؟

وتبع كلامه ضحكة ناعمة:

www.elromancia.com

ـ إنها مضحكة، أليس كذلك؟ تصور أنها جاءت الحفلة بذلك الثوب. لقد شهقت عندما شاهدته ولم أصدق عيني... من هي على كل الأحوال؟

ـ فتاة أشفق عليها كورت على متن السفينة. أنت تعلمين كيف يتصرف كورت تجاه النساء؟

ـ لا... لا أعرف... تكلمت عنه مرة أو مرتين فقط... لكنني لم أنتبه كثيراً.

ـ إنه رقيق تجاههن. ويعترف بأنه يخاف إيلامهن. وأظن أن الفتاة كانت وحيدة فقرر أن يكون الأب لها.

ـ الأب؟ أهذا كل شيء؟ لا شيء آخر في الأمر؟

ـ لا أظن... ومن المفترض أن تغادر الجزيرة في الأسبوع المقبل... يوم الجمعة على ما أظن.

وبدا لماكسين أنه من المستحيل أن يحب كورت رجلاً لا يحتمل مثل نويل دواستير. وفجأة سمعت طلباً وقحاً:

ـ قبلني نويل.

ـ سأكون سعيداً بهذا يا حبي...

تبع هذا صمت دام طويلاً... وتمنت ماكسين لو تستطيع أن تهرب دون أن يراها أحد... لكنها مضطرة للبقاء حيث هي، مستندة إلى جذع الشجرة... ثم سمعت نويل يقول:

ـ ألا زلت مصممة على التخلي عني؟

ـ لم أقرر نهائياً... ويمكن أن أتوصل إلى قرار فيما بعد.

وازدادت حيرة ماكسين لهذا الحديث بين الاثنين. وتملكها شك قاطع بأنهما يخدعان بعضهما، لذلك لم تكن واثقة أنهما يقودان بعضهما نحو الزواج...

ـ أترى نويل... أنا لا أحبك.

ـ لا تحبيني؟

وكأنما سمعته ماكسين يتنهد وأكمل:

ـ كيف غرت إذاً من الفتاة الأخرى؟

فاصطكت أسنان ماكسين.

ـ لم أشعر الغيرة منها.

ـ أنت قلت إنك غرت.

ـ قلت إنك كنت تحاول إثارة غيرتي!

ـ إذن فقد كنت مخطئاً... هيا يا صغيرتي... سيفتقدنا الناس ويظنون بنا الظنون. لن يعجبك هذا، أليس كذلك؟

ـ بالتأكيد لا! لقد نسيت سمعتك مع النساء. ومن الطبيعي أن يظن الناس بشيء ما.

وقال نويل بصوت منخفض حاد:

ـ سمعتِ؟ أخبريني عنها... لمَ يتحدث الناس عني؟

ـ تعرف جيداً... فأنت حتى الآن لا ترغب من النساء سوى شيء واحد.

ـ صحيح؟ وما هو؟

ـ نويل لا تحاول الادعاء! عندما يشاهدك الناس مع أية امرأة، يعرفون فوراً أنها عشيقتك.

ـ وكم من النساء شوهدن معي... هل لي أن أعلم؟

ـ هناك واحدة اسمها ليدا.

ـ صحيح... أرادت الزواج مني إذا لم تخني ذاكرتي.

ـ لكنك أغويتها.

ـ هي أرادت هذا الاغواء.

فشهقت كارولا:

ـ الرجال مقرفون! لذا من الأفضل أن أبقى عانساً.

www.elromancia.com

- يقال لهن اليوم فتيات عازبات.
- أكرهك!
- كم امرأة شوهدت معها؟
- أظن أنني سمعت عن واحدة اسمها جوانا.
- كانت جميلة، لكن غبية. أجل أذكرها وكانت تفكر بالزواج.
- وهل أغويتها هي الأخرى؟
- أظن هذا!
- كم هذا معيب! أيها الرجل الخالي من الخجل! لا... لن تكون لي بك صلة! لقد انتهى ما بيننا!
- أنت تحيرينني كارولا... لعدة أشهر أعطيتك كل اهتمامي، وأنت الآن تتخلين عني. أرجو أن لا تندمي على هذا كارولا.

أحست ماكسين أنها فهمت الموقف تماماً. وسمعت كارولا تقول:

- وهل جرحتك... حقاً؟
- أجل. سآخذك الآن إلى المنزل، وأبقى لوحدي كي أحزن.
- اوه... نويل سامحني! فإني خائفة منك.
- مم تخافين أيتها الفتاة السخيفة؟
- منك! ومن نفسي. لا أريد أن أسبب لك الألم وبما أنني لا أحبك، أخاف من إحساسي بالشفقة نحوك أن يورطني.

رد نويل بلهجة لم تفهم ماكسين معناها:

- أتعنين أنني لو طلبت الزواج منك فستقبلين لمجرد الشفقة؟
- أجل... هذا صحيح! لكن لا تطلب مني الزواج... أرجوك حبيبي نويل!
- أستطيع الانتظار يا حبيبتي... إلى أن تقرري.

وابتعد الاثنان عن ماكسين... كارولا فتاة ذكية، لكن نويل ليس

بالغبي... إنه يفهم تماماً لعبتها، بينما هي لم تكن تعرف أنه يحيك هو الآخر خطوط لعبته، فالفتاة تنوي الزواج منه... بينما هو لا ينوي سوى اغوائها.

صممت ماكسين أن لا تبدو بعد اليوم «فأرة صغيرة» كما دعاها نويل فطلبت من كورت أخذها إلى كاستريس العاصمة، لشراء ثوب سهرة. فتوسل إليها كورت:

- دعيني أدفع ثمنه! سيسعدني أن أفعل هذا!

لكن ماكسين هزت رأسها رافضة:

- صحيح أنني تركت معظم مالي في خزانة السفينة، لكنني أملك ما يكفي لشراء فستان.

فتنهد وأمسك بذراعها قائلاً:

- أنت فتاة مستقلة.

وقادها عبر زقاق يصل إلى المركز التجاري... مليء بالأشجار والمقاعد مثبتة على جانبيه.

- هل لهذا الزقاق اسم؟
- أجل... إنه درب الياسمين.
- إنه رائع! هل هناك المزيد منه؟
- هناك درب الأركاديا ودرب الفتنة. وهذه الأزقة جزء من المنطقة التجارية كما ترين... ويقال إن المنطقة التجارية هذه أجمل وأفضل ما في الكاريبي كله من مناطق. بإمكانك شراء كل شيء من الجواهر الغالية الثمن إلى العطر، إلى الصيني والجلديات. وإذا رغبت في فستان معقول الثمن فسآخذك إلى مكان ملائم. دعيني أشتري لك الفستان ماكسين... فستاناً يكون جميلاً حقاً.
- هذا لطف منك... لكن يجب أن أشتريه بنفسي.

www.elromancia.com

فتنهد مستسلماً، مما جعلها تشعر بأنه كان سيسعد لو قبلت.

دخلا عدة محلات، لكنها لم تجد شيئاً يعجبها، ولم تستطع سوى التفكير بالثياب الجميلة التي تركتها في السفينة. فجأة وصلا محلاً حيث وجدت في واجهته ما لا يقل عن ثلاثة فساتين سهرة رائعة، أسرت اهتمامها، فقال كورت:

ـ هذا هو المحل الذي حدثتك عنه... ستجدين الملابس هنا غالية الثمن.

كان على وشك متابعة سيره اعتقاداً منه بأنها لن تهتم بما تراه، وفي ظروف مختلفة كانت ستفعل هذا. ستتفرج، تعجب، ثم تتابع سيرها، تفتش عن شيء يناسب ما في جيبها. لكن كلمات نويل دواستير كانت تعذبها «من سينظر إلى فأرة صغيرة مثلها؟». كذلك ضحكة كارولا المرحة وردها: «إنها مضحكة، أليس كذلك؟ تصورها وهي تدخل الحفلة هكذا... لقد شهقت علي...».

لم يصفها أحد من قبل بالزرية المنظر. إنها جميلة، وهي تعرف هذا دون أن تكون متواضعة. صحيح أنها لن تستطيع منافسة كارولا ذات الجمال الغريب كما أنها تصغرها بست سنوات، ولم تعرف الحزن والفقر من قبل، لذلك تبدو أصغر من سنها الحقيقي. لكن، حتى ولو لم تستطع منافستها في مظهرها، فعلى الأقل ستكون جميلة المظهر.

فقالت:

ـ سندخل.

وبدهشة لحق بها كورت... كان معها مئة دولار، والفستان ثمنه مئة وخمسين... من السخف التفكير به. استدارت إلى كورت قبل أن تترك لتعقلها أن يتغلب على اندفاعها:

ـ أتقرضني باقي المبلغ؟ سأرسله لك فور وصولي إلى موطني.

ـ سأعطيك إياه... أرجوك عزيزتي... تبدين رائعة الجمال به... دعيني أدفع الباقي.

ـ سأستدين منك المبلغ فقط كورت.

فتنهد ثانية. ثم قالت له:

ـ والآن جاء دور شعري. أتدلني على مزين وتقرضني المزيد من المال؟

ماذا دهاها؟ إنها تخلت عن خجلها، لتطلب قرضاً من رجل لا تعرفه سوى منذأسبوع؟ لكنها مصممة على تحدي ذينك المغرورين المتعجرفين! وسيندمان على ما تفوها به عندما تظهر في حفلة العشاء في ثوبها الفاخر، وشعرها الذي ستسرحه عند أفضل مزيّن نسائي في الجزيرة... وسألت كورت:

ـ أتظن أنني سأتمكن من الحصول على موعد، أم سأجد المزيّن مشغولاً؟

ـ سنجرب حظنا عزيزتي... ولسوف تذهلين الجميع!

هذا ما تريده! خاصة هذين الاثنين! وستكون متباهية أمام نويل وحتى أنها ستتعالى عليه، لو حاول الكلام معها. خاصة وأنها ستكون ضيفة لديه.

كان العشاء في أفخم فندق على الجزيرة، حيث حجز نويل أحد أركان الملهى الليلي لضيوفه. وكان من بينهم زوجان شابان يدعيان «أوسلي» يملكان سلسلة محلات انتيكات في الجزر المجاورة، والزوجان «بودل» العجوزان المتقاعدان اللذان يعيشان على بعد كيلومتر من منزل نويل، وبالطبع «آل اوستند».

وصلت ماكسين مع كورت، الذي وقف يحدق بها مذهولاً من

الاعجاب عند رؤيتها. وأعلن لها أنها ستكون الأجمل والأكثر أناقة بين الموجودين.

نويل، كان أول من وقع نظره عليها، فابتسم لكورت قبل أن تتحول عيناه إليها... وبدا وكأنه يلتقط أنفاسه، وتلاشت البسمة عن شفتيه قبل أن يستعيد رباطة جأشه ويقول بلباقة وهو يتقدم نحوهما:

ـ ما هذه الرفيقة الساحرة التي ترافقك كورت؟

ماكسين كانت ترفع رأسها متفاخرة، مع ذلك رفعته أكثر وقالت بصوت مترفع قليلاً:

ـ شكراً لك سيد دواستير.

لمعت عيناه العسليتان، وتحركتا من وجهها إلى شعرها، ثم إلى الأسفل، على طول فستانها الذي يصل إلى الأرض، ياقته الملتصقة بالعنق، والمليئة باللآلىء، كانت الشيء الوحيد الذي يعلق الثوب بجسدها من فوق، كتفيها وظهرها عاريان يظهران السمرة التي اكتسبتها مؤخراً. وفي أسفل الفستان شق يصل إلى ما فوق الركبة.

بمجرد رؤية تأثير جمال الفستان على نويل، وكارولا، التي كانت تحملق بها مذهولة من مكانها إلى جانب أبويها، علمت ماكسين أن الفستان يستحق كل سنت دفعته له.

قطع صوت نويل العميق المتأثر الصمت القصير الذي تلا كلام ماكسين البارد:

ـ تعاليا لتناول الشراب.

وتحركت برفقة كورت إلى حيث يجلس الآخرون، يتحدثون. كل العيون تركزت على ماكسين، مما جعلها تشعر بالتيه خاصة بعد أن لاحظت أن السيدة اوستند تنقل نظرها منها إلى ابنتها وتقطب. لا بد أنها تقارن بينهما، وابتسمت ماكسين لنفسها، بينما كانت عينا الفتاة لا

زالتا مركزتين عليها وكأنها لا تصدق ما تراه، ثم قطبت كأمها. صحيح أنها كانت دون عيوب وواثقة من نفسها، إلا أنها لم تستأثر وحدها بالاهتمام.

ـ آنسة مارتن... أيّ شراب تفضلين؟

بالكاد سمعت ماكسين سؤال نويل، لأن الزوجة الشابة غلوريا اوسلي كانت تعلق على جمال الفستان:

ـ إنه رائع... من أين حصلت عليه بحق السماء آنسة مارتن؟ هل أتيت به معك؟

ـ لقد اشتريته من كاستريس...

ـ ولماذا لم أشاهده قبل الآن؟

فقاطعها زوجها مبتسماً:

ـ لن يناسبك حبيبتي، فأنا دائماً أقول لك إنك تكثرين من الطعام.

ـ أنت رجل بغيض! لماذا تزوجتك؟

فكان رده سريعاً:

ـ لأجل مالي... ولا عجب في هذا.

وضحك الجميع. فهمس كورت لماكسين:

ـ درو اوسلي مليونير.

ـ أتصور أن هذه الجزيرة مليئة بأصحاب الملايين.

ـ إنها بالفعل جزيرة الثراء الفاحش. فالأثرياء يجيئون إلى جزر الكاريبي لبناء المنازل الفخمة... يجب أن تشاهدي منزل آل اوسلي... إنه كالحلم... قصر بكل ما في الكلمة من معنى.

ـ ومنزل نويل؟ أليس قصراً؟

ـ إنه حقاً كذلك، لكن بصورة مصغرة. وقصر آل اوسلي ضخم. نويل أغنى منهم، لكنه لا يبذر ماله مثل درو.

www.elromancia.com

ـ أنا مندهشة...

ـ ألا يعجبك نويل؟

فردت وهي تفكر بذلك الحديث الذي سمعته بين نويل ورفيقته الجميلة... لا يعجبها فقط... إنها تمقته:

ـ لم تتح لي فرصة بعد لأكوّن رأياً عنه.

ـ إنه رجل بكل معنى الكلمة... اؤمنه على حياتي. أعرف أنه متسلط مع معظم النساء، لكن كما قلت لك لديه سبب لكراهيتهن. وإذا تزوج كارولا ستصيبني الدهشة... فهو من عشاق العزوبية.

دخل الزوجان بودل في هذه اللحظة، وبدا عليهما فوراً الدهشة. وكأنهما يتساءلان من تكون ماكسين، ومع معرفتهما جاء الاعجاب، وهمست السيدة بودل شيئاً في أذن زوجها.

سألها درو اوسلي، قاطعاً بذلك الحديث عن نويل:

ـ أتتمتعين بإقامتك هنا آنسة مارتن؟

ـ إنني أقضي أمتع الأوقات... كورت يدعوني دائماً للنزهات للتعرف إلى الجزيرة... المناظر والريف هنا رائعان.

فابتسم درو:

ـ أظنه أخذك إلى مطعم «قمة الجبل» وتناولت الكوكتيل بالموز المشهورين به هناك؟ وأخذك كذلك إلى «بئر داريل» حيث رميت قطعة نقود وتمنيت أمنية؟

فضحكت ماكسين:

ـ أجل... لقد فعلت هذا وغيره الكثير... لقد شاهدت راقصات «الليمبو» واستمعت إلى أغاني «الكاليبسو» من فم المغنين الوطنيين على شاطىء الخليج.

ـ إذن سيكون لديك الكثير لترويه لاصدقائك وأهلك عندما

تعودين إلى موطنك؟

فهزت رأسها، لكنها لم تجب. وسألها كورت بعد قليل همساً:

ـ أليس لديك أقارب؟

ـ لدي عمة عجوز فقط، إذا كانت لا زالت حية. لم أسمع عنها شيء منذ سنوات. أرسلت لها مؤخراً رسالتين لكنها لم ترد عليهما، فلم أعد أكتب لها. إنها تعيش في مكان بعيد عن ڤانكوفر... حتى إنها ليست عمة قريبة بالدم.

ـ هذا محزن... لا بد أنك تشعرين بالوحدة وليس لك أحد.

ـ صحيح... عندما كان لدي كيم، لم أكن أهتم لعدم وجود الأقارب، فلقد تعودت على واقع أننا دون أبوين منذ زمن بعيد، وكان لي كيم وكنت سعيدة.

رد كورت بلطف:

ـ أعتقد أنني أفهمك يا عزيزتي. وأظن أن الأمر نفسه بالنسبة لنويل. لقد كان يحب شقيقته كثيراً، وكان يشعر بمسؤوليته في حمايتها لأنه وصيها. وأعتقد أنه لا زال يفتقدها، وأظنه أحياناً يلوم نفسه على موتها. سمعته يوماً يقول إنه ما كان يجب أن يسمح لها بتركه لتعيش وحدها وتصبح ممثلة. ولولا أن ذهبت إلى بلادكم لما حصل لها الحادث وماتت. أتفهمين هذا؟

ـ أجل... لم يكن صارماً مع شقيقته، هذا ما يدهشني، فهو يبدو رجلاً متشدداً.

توجهت عيناها باتجاه نويل الذي كان يتحدث إلى كارولا ملصقاً رأسه برأسها... ولاحظت فمه وفكه، والتشدد الذي لا يلين فيهما.

ـ لربما كانت مصرة على هذا.

ـ لكن الحادثة ما كانت لتحصل لو أنها لم تكن في المكان

www.elromancia.com

المحدد في الساعة المحددة.

ـ صحيح... لكنني اؤمن بالقضاء والقدر ماكسين.

فأحست بالدموع تحرق عينيها:

ـ القدر ظالم إذن... فشقيقي لم يكن قد بلغ الثامنة عشرة بعد. ولم يؤذ أحداً طيلة حياته.

أخذت الفرقة الموسيقية تعزف ألحانها، وأخذ نويل كارولا إلى الرقص. ولكي يقفل كورت الباب أمام هذا الموضوع المؤلم دعا ماكسين للرقص... وقُدم إليهم مجدداً الطعام بعد الرقص، وما إن انتهى حتى تقدم نويل من ماكسين، ودعاها إلى الرقص. فانزلقت بين ذراعيه تحس فجأة بتوتر لا سبب له. وقالت له وهما يرقصان:

ـ هل لي أن أستغل هذه المناسبة لأشكرك على دعوتك لي لهذه الأمسية؟ فأنا أتمتع بها كثيراً.

كان صوتها بارداً مؤدباً، وتراجع نويل برأسه عنها قليلاً، مبدياً دهشة لتصرفها. وتساءلت عن ردة فعله لو قالت له إنها سمعت حديثه مع كارولا عنها. وأجابها:

ـ من دواعي سروري أن أستضيفك آنسة مارتن. وأنا مسرور لبقائك هنا كي تتمكني من الحضور.

ـ لن أغادر قبل الثلاثاء المقبل.

ـ ظننتك ستغادرين في الغد؟

ـ ألم يقل لك كورت عن تغيير الموعد؟ السفينة الآن ذاهبة إلى فلوريدا بعدها ستعود من حيث أتت راساً إلى ڤانكوڤر.

ـ لا... لم يقل كورت شيئاً. إذن، أنت لن تزعجي نفسك باللحاق بها؟

ـ لا... لقد طلب مني كورت البقاء معه، وبما أنني سعيدة هنا، فلا داعي للسفر. وسأطير راساً إلى ڤانكوڤر لآخذ حقائبي من

السفينة.

حين عادا إلى الطاولة لاحظت أن عيني كارولا كانتا ضيقتان وفمها مشدود... ولقد أشاحت بوجهها عنه متعمدة... رقص نويل مع السيدات المدعوات كواجب عليه. وبدهشة لاحظت ماكسين أنه راقصها أكثر مما راقص كارولا... وقال لها معلقاً:

ـ يجب أن أهنئك على رقصك. هل ترقصين كثيراً في موطنك؟

ـ أنا بالكاد أخرج للسهر.

وندمت لتسرعها في الحديث وكشفها أمامه عوزها للحياة الاجتماعية... لكن نويل لم يعلق. بل أخذ يدور بها إلى أن أصبحا خارج حلبة الرقص، ووجدت نفسها تقف معه لوحدهما، تنظر إلى البحر، حيث ترسو إحدى السفن تسطع أنوارها فوق سطح الكاريبي. وبدت بضعة جزر من بعيد تلمع في الظلام، استدارت ماكسين إلى الخلف لتشاهد روعة الجبال المرتفعة المليئة بالأشجار. فقالت هامسة:

ـ المكان كله رائع الجمال. أينما ذهب المرء يجد مناظر خلابة بجزر أخرى. كم عدد الجزر هنا؟

ـ خمسون تملكها أميركا وثلاثون تملكها بريطانيا.

ـ أبهذا القدر؟

ـ ليست كلها مأهولة، هناك ثلاثة فقط في هذا المحيط لها أهميتها.

ـ هل عشت هنا دائماً سيد دواسيتر؟

ـ والداي كانا يملكان منزلاً هنا وهما شابان. وكنا نمضي معظم وقتنا هنا.

ورأت تقطيبة وجهه، فعلمت ماكسين أن أفكاره اتجهت إلى ذلك

اليوم الذي هجرهم فيه والدهم ليتزوج تلك الفتاة الصغيرة... ثم تابع:

ـ استقريت هنا منذ أكثر من عشر سنوات.

ثم بدل مجرى الحديث بإشارته إلى الجزر حولهما معرفاً إياها إلى اسمائها.

فقالت له:

ـ استطيع رؤية نفس المنظر من على شرفة منزل كورت. وأظن أن لديك نفس المنظر.

هز نويل رأسه وهو ينظر إليها ثم قال:

ـ يجب أن تري منزلي قبل سفرك. سأطلب من كورت أن يصحبك للعشاء عندي في الغد.

ـ هذا لطف منك سيد دواستير.

ـ من دواعي سروري آنسة مارتن... وسأتمتع بوجودك.

حدقت به... هل هو صادق؟ شعرت بانذار خطر يطلقه عقلها الباطن. وزاد توترها عندما أمسك بذراعها، ليقودها إلى حيث كانت كارولا تجلس مع والديها تشاهد عازفي الموسيقى السمر، وقارعي الطبول النحاسية، لكن ماكسين لمحت تعبيراً غريباً على وجه كارولا، فمها متشدد غاضب، يرتجف قليلاً، وحين تلاقت عيناها بعيني ماكسين لمعتا غضباً. فيما بعد، عندما رقص نويل مع الفتاة، لاحظت ماكسين أنهما لم يتبادلا الحديث.

أخيراً انتهت السهرة، ووجدت ماكسين نفسها إلى جانب كورت في سيارته. وقطعا الجزيرة إلى الجهة المطلة على المحيط. حيث أطلا على خليج ميغان الرائع. وقال لها كورت ضاحكاً:

ـ يجب أن اهنئك على أسرك لاهتمام نويل. فقد بدت كارولا

الجميلة منزعجة جداً لاهتمامه بك.

كانت ماكسين تخرج من السيارة للتمتع بالمنظر، وشعرت بالامتنان للظلمة لاخفائها احمرار وجهها فتمتمت:

ـ الفضل عائد للثوب. فهو لم يلق بالاً إليّ ذلك المساء.

ـ أنت جميلة... جميلة جداً. والفستان أبرز جمالك هذا بشكل رائع.

كلماته بقيت ترن في أذنيها لفترة طويلة لم تستطع خلالها النوم... لقد مرت بتجربة مثيرة كونها كانت بين كل هؤلاء الأثرياء... إنه عالم مختلف... لكن أكثر ما أثارها أنها تمكنت من أسر اهتمام الرجل الأكثر جاذبية في تلك السهرة...

●●●

٤ ـ احذري!

تساءلت ماكسين مئات المرات بينها وبين نفسها كيف أنها قبلت عرض كورت بأن تكون مربية لطفليه. جاء عرضه يوم رحيلها. طلب منها العودة للعناية بكولين ومورغان... العرض بحد ذاته كان مغرياً، لكن ماكسين اضطرت للاعتراف لنفسها بأن نويل هو الدافع الأساسي في اتخاذ قرارها وقبولها هذا العرض. الكثير من النساء وقعن ضحية سحره، فالرجل جذاب جداً.

لم تكن واثقة تماماً متى شعرت بتأثيره عليها للمرة الأولى، ما تذكره الآن أنها بعد قضاء السهرة في منزله، وبعد ابتسامته الموجهة دائماً إليها شعرت وكأن هذه السهرة لا تضم أحداً سواهما. وبالتأكيد غضبت كارولا للاهتمام الذي أعطاه لها، وكذلك أمها لكنه لم يلق بالاً إليهما إما لعدم الانتباه أو لعدم الاهتمام.

يومها أحست بالخجل والارتباك... والحيرة كذلك، وفي اليوم التالي حدثها كورت عن هذا الأمر مبتسماً:

ـ يجب أن تفخري ماكسين... نويل مع العازبات مؤدب بطبيعته، إلا أنه متحفظ.

فردت فوراً:

ـ وماذا عن كارولا؟ إنه ليس متحفظاً معها.

ـ صحيح... وقد يبدو أنه مهتم بها... لكنني لا أذكر أن نويل

أعطى اهتمامه لفتاتين معاً.

وابتسم.

على مضض، رفعت ماكسين عينيها إلى المرتفع الصغير المكسو بالأشجار... إنه في الواقع جزء من أرض نويل، لكنه ليس من ضمن حدائقه... خلف هذا المرتفع يقع منزله مختفياً عن عينيها لكنه مرسوم في ذهنها.

أجفلت عندما شاهدت نويل يطل من على المرتفع ليحدق بزرقة مياه الخليج اللازوردية مرسلاً نظره إلى البعيد. وتعالى اللون الأحمر إلى وجهها، وتساءلت مجدداً كيف قبلت عرض كورت بأن تكون مربية لأولاده... كم كانت حمقاء... لقد قبلت لمجرد تفكيرها بأنها إذا سافرت لن ترى نويل من جديد... لا بد أنه معجب بها، وإلا لما كل هذا الاهتمام الذي يوليها إياه؟

لكن بعد عودتها إلى الجزيرة، أخذ يستغلها في إثارة غيرة كارولا. هذه المعلومات صدرت عن السيدة اوستند نفسها، خلال زيارتها الثانية للجزيرة مع زوجها وابنتها. وبطريقة ما علمت ماكسين أن الغرض من هذه الزيارة هو التحدث إليها. فقد عرفت بعودة ماكسين والوظيفة التي استلمتها عند كورت.

جاءت السيدة اوستند إلى منزل كورت لوحدها وهي تعلم أنه في العاصمة، وأن الولدين في المدرسة، وكانت ماكسين في الحديقة تقطف الزهور لتزيين المنزل. ففوجئت ورفعت نظرها باستغراب لرؤية السيدة اوستند تتقدم نحوها.

ـ آه آنسة مارتن، أنا مسرورة للفرصة المتاحة لي لأحدثك على انفراد.

وصمتت، وكأنها تجد صعوبة في إيجاد الكلمات:

ـ الأمر حول نويل، والاهتمام الذي يوليك إياه. إنه يحب ابنتي

بجنون، والجميع يعلم هذا، وهي تحبه كذلك، على الرغم من أنه يجهل ذلك فهي تتلاعب به، وأنت تعلمين كيف تتصرف الفتيات الصغيرات هذه الأيام؟ -

لم تستطع ماكسين لدهشتها أن تتكلم، واحست بالغضب لتلميح المرأة بأنها ليست من سن كارولا. وأكملت:

- النتيجة، أن نويل يستخدمك لإثارة غيرة ابنتي. وبما أنك الآن عدت للإقامة الدائمة هنا، فمن الملائم له أن يتابع ما بدأ به. ووجدت من واجبي أن أحذرك عزيزتي... فهو رجل جذاب ولا أريدك أن تتألمي. فالعديد من النساء وقعن في حبه ولم يكترث لهن. وكورت سيقول لك نفس الشيء لو سألتيه.

ردت ماكسين على الفور ببرود:

- سيدة اوستند، أود أن أعلمك أن ليس لدي أي اهتمام بالرجل الذي تأمل ابنتك الزواج منه...

فقاطعتها:

- تأمل؟ باستطاعتها الزواج منه ساعة تشاء! وما قلته لك هو مجرد تحذير ودي... وإذا لم تأخذي به فسوف تندمين!

وسقط قناع الصداقة الذي وضعته المرأة على وجهها، وحلّ مكانه أخلاق المتعجرفين المتسلطين... ووقفت تنتظر رداً، لكن ماكسين تركتها واقفة هناك وابتعدت.

وقفت ماكسين على الشرفة الخلفية تفكر بما قالته المرأة، واعترفت لنفسها بأن المرأة محقة باستنتاجها. فنويل بالفعل يستغلها لإثارة كارولا. وسيستمر في استغلالها لو أفسحت له المجال، وهذا بكل تأكيد ما لن تقبل به. هذا المساء، ستقام حفلة سباحة ليلية تحت ضوء القمر في منزله، وهي مدعوة، لكنها قررت عدم تلبية الدعوة... ومع حرصها لعدم تخييب أمل كورت فإنها لن تضع نفسها

في خدمة أغراض ذلك الكريه، نويل دواستير!

أحست بالتصلب لظهور الرجل الذي يشغل تفكيرها أمامها، وسألها:

- هل كورت في المنزل؟ لو سمحتِ قولي له إنني أود التحدث إليه؟

- طبعاً... إنه في بركة السباحة... أو بالأحرى كان هناك.

ردت عليه ببرود متعمد، كما اعتادت منذ علمت باستغلاله لها... فنظر إليها بحيرة... وقال:

- هل هناك شيء انسة مارتن؟ لدي انطباع أنني قمت بعمل أغضبك.

أحست ماكسين برغبته في قراءة أفكارها، فردت عليه بنفس البرود:

- لست أدري كيف أخذت هذا الانطباع سيد دواستير. فنحن بالكاد نعرف بعضنا... فكيف يمكنك فعل شيء يغضبني؟

فتنهد بنفاد صبر... وعيناه العسليتان تحدقان بها بحيرة متسائلة أخفضت بصرها، بينما بقي نويل على صمته إلى حين قال:

- إذا كان كورت في البركة، فالأفضل أن أذهب إليه.

فقالت له باندفاع وهو على وشك الابتعاد:

- سيد دواستير... أنا متعبة هذه الأيام، ولن أتمكن من المجيء إلى حفلتك الليلة، لأنني مضطرة للنوم باكراً.

فاستدار لينظر إلى وجهها المحمرّ. تمنت حينها لو أنها لم تتفوه بهذا الكلام لكانت أرسلت اعتذارها مع كورت عندما يذهب إلى الحفلة. رد عليها بلهجة ساخرة:

- أنت... متعبة هذه الأيام؟ ما هذا العذر... هل لي أن أعرف؟

www.elromancia.com

أجفلت وقد فاجأها بسؤاله واهتمامه بالموضوع. فتمتمت:

ـ السبب هو الولدان...

ـ الولدان؟ أتعنين أنك تتعبين نفسك معهما؟ أين هما الآن؟

ازداد احمرار وجهها وهي تقول له إنهما يسبحان مع أبيهما:

ـ أنا لا أشعر برغبة في حضور الحفلة.

ـ إذن، ليس السبب هو التعب؟ لو تسمحين بإعلامي بالدافع الحقيقي وراء هذا التهرب من الحضور.

ـ وهل الأمر مهم؟

ـ لا بد أن يكون للمرء عذر معقول لرفض دعوة، خاصة وانك قبلت بها أول الأمر ماكسين. وأصرّ على معرفة السبب.

ماكسين... للاسم رنين غريب على لسانه، يزيد من غرابته لهجته الأميركية، واللمسة الفرنسية، التي ورثها عن أبيه ولا بد أن تكون شفتاه كذلك إرث من أبيه.

ـ قلت لك إنني متعبة.

تراجعت فجأة عند رؤيتها لمعان الغضب في عينيه، وقال بحدة:

ـ لو كنت أكثر معرفة بك، لأمسكتك وهززتك حتى تستعيدي وعيك!

فشهقت... المتحفظ المتفوق، نويل دواستير، يتحدث هكذا!

ـ أخشى سيد دواستير أن أكون لم أفهم ما تقصده.

ـ لا بأس... لو سمحت سأذهب للبحث عن كورت.

ابتلعت ماكسين ريقها بصعوبة... إنها ترغب في الذهاب إلى الحفلة، وترغب في إثارة اهتمامه... لكن دون وجود كارولا... هل ستتزوجه كارولا في نهاية الأمر؟ عادت ماكسين للتفكير باستنتاجها السابق بأن كليهما يلعب لعبة على الآخر، ولا زالت تؤمن أن نويل إنما يحاول إغواء كارولا لا الزواج منها. لكن، من جهة

أخرى، كارولا ذكية، ونويل منجذب إليها، وإلا لما تجشم عناء استغلال فتاة اخرى لإثارة غيرتها. وربما، ستكسب كارولا في النهاية.

انزعج كورت عندما اخبره نويل بقرار ماكسين بعدم حضور الحفلة وفور وصوله مع نويل بادرها بالحديث:

ـ قال لي نويل إنك لن تحضري الحفلة الليلة. يقول إنك متعبة... فهل هذا صحيح؟ أيتعبك الولدان؟

احمر وجه ماكسين وقد لاحظت الرضى يبرز من عيني نويل...

ـ بالطبع لا... الأمر أنني لا أريد الذهاب إلى الحفلة.

هز نويل كتفيه وتكلم قبل أن يرد كورت:

ـ من عادة المرأة أن تغير رأيها... فلا تضغط عليها كورت.

بعد ذهاب نويل، أسرّت ماكسين لكورت ما في نفسها... إذ أنها وجدت أنها الطريقة الفضلى لشرح الأمر له. فصاح متعجباً:

ـ أقالت السيدة اوستند هذا؟ إنها عديمة اللياقة؟ كيف تجرؤ على هذا؟

ـ إنها تتوق لزواج ابنتها من نويل. وهذا واضح!

ـ لكن هذا لا يعطيها الحق في أن تكلمك هكذا! وسيغضب نويل عندما يعرف. ليس من عادة نويل الخضوع هكذا. ولست مقتنعاً بأن تلك المرأة المحتالة صادقة.

ـ إنها صادقة كورت. وإلا لماذا يهتم رجل مثله بي؟ لقد علّقت على الأمر بنفسك... اتذكر؟

ـ لا أنكر هذا... لكنني أحسست أنه... معجب بك.

ارتجفت شفتاها قليلاً، و تمت:

ـ وهذا ما ظننته.

فنظر إليها بحدة:

www.elromancia.com

ـ ظننت أنه معجب بك...؟ ...كيف؟ أخبريني ماكسين.

ـ اوه... إنه... يبدي إعجابه بطريقة غير مباشرة. كل ما كنت آمله أن نكون صديقين، أو على الأكثر صديقين ودودين.

وبدا الارتياح على كورت، مما جعل ماكسين ممتنة. فستضيف إلى نفسها البؤس والذل لو عرف كورت كيف تشعر نحو صديقه.

ـ لن آخذ كلام تلك المرأة على محمل الجد... فنويل أكبر من أن يستخدم امرأة ليثير غيرة امرأة أخرى... لا... الفكرة كريهة! لو عرفته أكثر لسخرت من هذا الكلام.

ـ على كلٍ لن استطيع الذهاب الآن، وخاصة أنني أعلمت نويل بعدم استطاعتي الحضور.

ـ أتودين الذهاب؟

فهزت رأسها:

ـ أجل... سأذهب.

ـ سأتصل به إذن...

ـ سيظنني حمقاء!

ـ ألم يقل بنفسه إن من عادة المرأة تغيير رأيها؟ حسناً، لقد غيرته من جديد.

حديقة قصر نويل دواستير كانت مضاءة بمصابيح ضئيلة الأنوار علقت على الأشجار وحول البركة، الشبيهة ببركة منزل كورت، إضافة إلى مصابيح من داخل الماء تشع بأنوار ملونة، بحيث اختلطت ألوان الأزرق بالقرمزي بالألوان المتعددة الأخرى فوق سطح الماء لتخلق جواً مثيراً للبهجة.

كذلك كانت المياه مزينة بزهور استوائية غريبة الأشكال والأسماء... لهيب الغابات، ثلج الجبال، الشموع الذهبية، وسهم

الجنة. الألوان والعطور والأنوار الخفيفة تضافرت جميعاً لتكون هذا السحر الذي يقطع الأنفاس. وسرعان ما وجدت ماكسين نفسها قرب مضيفها، تنظر إلى عينيه اللتين بدت فيهما السخرية. وهما يقفان عند الطرف الآخر للبركة بعيداً عن الآخرين. وقالت له:

ـ كل هذا رائع! لم أشاهد مثله من قبل. حتى ولا في السينما!

فسألها:

ـ هل أنت متوترة؟

وعلمت أنه يحاول العبث بها... لكن ماذا عن كارولا؟ هل توقف عن ملاحقتها... بعد أن وقع نظره على صيده الجديد؟

وردت عليه ببرود:

ـ لست أدري ما تعني. لماذا أكون متوترة؟

ـ ربما كان علي القول... «غير واثقة من نفسك»...

ـ كلام هراء! أنا لم أكن يوماً غير واثقة من نفسي سيد دواستير!

فضحك ضحكة جذابة عميقة قصيرة دفعت نبضها للتسارع وأردف:

ـ اسمي نويل.

وأمسك بذراعها ليقودها إلى مكان أكثر عزلة، بعيداً عن البركة وعن أعين السابحين فيها. ثم قال آمراً:

ـ تلفظي باسمي! لماذا التردد؟

فقالت وهي تلف روب السباحة حولها:

ـ أنت تثير حيرتي سيد دواستير...

ـ في البداية فقط... وليس بعد أن تعرفيني جيداً... قلت لك إن اسمي نويل!

ـ نحن غريبان عن بعضنا تماماً.

ـ أنت تعرفت إليّ في نفس المدة التي تعرفت بها إلى كورت ومع

www.elromancia.com

ذلك فأنت لا تجدين صعوبة بلفظ اسمه.

ـ التقيته على السفينة، وكل شيء هناك غير رسمي. الجميع يستخدم الأسماء الأولى.

ـ وهذا ما نفعله هنا أيضاً.

نظرت من حولها لتجد أنه، بطريقة ما، جعلهما معزولين عن الآخرين. البركة كانت بعيدة قليلاً، وكانا يقفان تحت شجرة وارفة تتضوع بالروائح العطرة من زهورها. ورغم اكتمال القمر فقد عمت الظلمة في تلك الزاوية من الحديقة بسبب بعض الغيوم البيضاء التي تعترضه.

قالت له متوترة:

ـ ألا تعتقد أن علينا العودة إلى الآخرين؟

ـ لقد تركناهم لتونا، فلم العجلة؟

ـ سيد دواستير...

ـ قد تجدين لفظ اسمي أسهل فيما لو قبلتك...

حاولت الهرب، لكنه ضحك:

ـ لا يا عزيزتي... فات الوقت لتهربي مني.

في اللحظة التالية كانت بين ذراعيه، في عناق لا خلاص لها منه فصاحت مخنوقة الأنفاس:

ـ اوه... أيها المخلوق الكريه! كيف تفعل هذا... حتى دون أية بادرة تشجيع!

ناقمة غاضبة، لكنها مضطرة لمواجهة واقع محرج في أنها فشلت في إظهار هذا السخط. وجه نويل كان قريباً جداً منها واستطاعت أن تلاحظ نظرات التسلية في عينيه. وقال ساخراً:

ـ اذن... أعجبك هذا... عظيم! فلنجرب مرة أخرى...

ـ لا... بالتأكيد لا! اتركني!

قاومته بعد ضمها ثانية، لكن دون جدوى... فاستكانت. وبانتصار احتواها بين ذراعيه، بشراسة، لكن دون قسوة. بعد لحظات نسيت كل شيء... لكنها كانت تعرف أنه سيحتقرها لاحقاً، كما ستحتقر نفسها. لكنها كانت عاجزة، وهي قريبة منه إلى هذه الدرجة، ليس بفعل قوته الجسدية فقط، بل بقوة سحره القاهرة... وهمس في أذنها قائلا:

ـ والآن... أيمكنك لفظ اسمي؟

ـ لا... فأنا... نويل اتركني!

لحظة صمت مرت ثم قال:

ـ أجل... كنت أعرف كيف ستكون رنة اسمي... سهلة أليس كذلك... ماكسين؟

إنه منافق، عابث، متهتك... فهو إما يتجاهل النساء أو يغويهن. وتحركت لتخلص نفسها من عناقه، لكن قبضة ذراعيه اشتدت حولها، وضحكت عيناه منها:

ـ لم العجلة؟ أتعلمين، أنت توجهين ضربة لغروري عندما تودين الهرب هكذا. ألم تتمتعي بعناقي؟

غمر الاحمرار وجهها، فرفعت رأسها:

ـ غرورك لا يبدو متألماً كثيراً... بل أجدك زدت غروراً إلى أقصى حد!

ـ لقد جعلتني أحس بالكآبة! لقد تصورتك تتمتعين بقدر ما تمتعت.

ـ بما أنك حصلت على متعتك، ربما نستطيع الآن العودة قرب البركة... فالمفروض أنها حفلة سباحة... إذا كنت تذكر؟

ـ وساخرة أيضاً؟ هل تودين أن أهزك كما وعدتك؟ أتودين حقاً

www.elromancia.com

العودة إلى البركة؟ اتساءل! ألا تفضلين البقاء هنا... معي؟

رمقته ماكسين بنظرة تتكلم عن نفسها، وكررت أنها تجده مغروراً وأضافت:

ـ ستوفر البركة لي بهجة أكبر!

ـ كاذبة! لماذا تدعين عدم الاهتمام بعناقي وتجاوبت معي بتلك الطريقة المبهجة.

أحست بالارتباك لهذا. ليس لأنه قال الحقيقة، بل لأنه بدا صادقاً بالرغم من سخريته... وأحست بالسرور لمعرفتها أنه تمتع بالعناق كذلك. ماكسين لم تكن ذات خبرة مع الرجال، فقد كانت دوماً مشغولة، ترعى أخيها ومنزلها، وتعمل لكسب رزقها كذلك... وفي تجاوبها مع عناق نويل، إنما كانت تتبع أحاسيسها الطبيعية. إنه يجذبها إليه كثيراً، وأحست بالسرور بين ذراعيه، وسرها أكثر أنه كان سعيداً بهذا العناق. أحست فجأة أنها ليست مجرد «أنثى» أخرى سرعان ما سينساها... وكرر نويل سؤاله بنعومة في أذنها، فتمتمت محاولة الخلاص من قبضته:

ـ وهل... تجاوبت؟

ـ أيتها الماكرة... أيتها الماكرة المراوغة... تعرفين جيداً أنك تجاوبت! ما هو الأمر المختلف فيك؟ ماذا تملكين مما تفتقده بقية النساء؟

تصاعد اللون أكثر إلى وجهها. كلماته أثارتها، في وقت كان هناك ما ينذرها صائحاً بها أن: احذري! لكنها تجاهلته. فإمساك نويل بها جعل أحاسيسها تشتعل لتشكل حاجزاً تجاه أية ردة فعل مضادة. وحدق نويل بها متنفساً بصعوبة:

ـ ماكسين... أيتها المخلوقة الساحرة...

واستسلمت لذراعيه، تعيش لحظة نشوة اجتاحت جسدها. وهمست بخجل:

ـ نويل... سيتساءل الآخرون عن مكاننا. وأنت... لا يجب أن تترك ضيوفك طويلاً.

وشرد ذهنها في أمر آخر فهي الآن واثقة أن ما حدث قبل قليل لم يكن المقصود منه إثارة غيرة كارولا، إذن لا بد أن يكون له معنى آخر. وتنهد نويل:

ـ معك حق عزيزتي... يجب أن نعود.

بعد خمس دقائق كانا في البركة يختلطان مع بقية السابحين. وفيما بعد جلسا مع كورت لتناول الدجاج المشوي وشرب عصير الفواكه الطازجة.

سألها كورت، بعد أن خرجا إلى السيارة للعودة إلى المنزل:

ـ أين اختفيت مع نويل طويلاً؟ لا يمكنك القول الآن إن اهتمامه بك لإثارة غيرة كارولا.

ـ لقد أخذني ليريني الحديقة.

ـ في العتمة؟

فاحمر وجهها:

ـ توقفنا وتحدثنا قليلاً.

ـ من الواضح أنه يعجبك الآن أكثر؟

ـ أجل... يعجبني الآن أكثر فأكثر...

● ● ●

www.elromancia.com

٥ ـ آمال تتحقق

علت ابتسامة متشوقة فم ماكسين لرؤيتها نويل يوقف السيارة، وينزل منها متقدماً بخطواته السريعة إليها... كان الوقت ظهر يوم سبت، وكانت ماكسين في «كاستريس» تتبضع، وكانت قد اتفقت مع نويل على اللقاء في «قصر الزهور» الشهير هناك حيث سيتناولان الغداء. كورت كان قد سافر مع الأولاد لزيارة شقيقته في فلوريدا، وكان يرغب في أخذ ماكسين معه، لكنه لعلمه بتطور الأمور بينها وبين نويل أعطاها إجازة من رعاية الولدين للأسبوع الذي سيغيبون فيه.

وصل نويل إليها حيث كانت تقف عند مدخل المبنى الذي كان يوماً قلعة وقد تحول الآن إلى فندق فخم.

ـ هل انتهيت من شراء الأغراض؟ يبدو لي هذا، نظراً للكيس الضخم الذي تحملينه.

أخذ منها الكيس ووضعه في السيارة... فقالت له سعيدة:

ـ نفذ كل ما كان معي! نويل... هناك أشياء رائعة للشراء! هل أسير معك إلى السيارة؟

ـ طبعاً.

بدا لها أعجوبة أن يهتم بها. صحيح أنه لم يذكر لها الحب، لكن لم يمض بعد أكثر من عشرة أيام على عناقه لها في الحديقة.

كان يجيء إلى منزل كورت كل يوم، ومرتين خرج معها للعشاء، أول مرة في فندق تاريخي حيث أدهشها رؤية دعامات سقوف خشبية عمرها قرن من الزمن، وأثاث من بقايا ما جاء به المستعمرون معهم... المطبخ القديم الطراز تحول إلى مقصف رائع، وهناك سلم خشبي إسباني الطراز جذاب جداً، والأزهار الاستوائية في كل مكان، وهناك تذوقت للمرة الأولى طعم «الكركند» البحري على طريقة أهل الكاريبي، مشوي في الموقد.

في المرة التالية أخذها إلى فندق «شاطىء الجزيرة» حيث وقفا على رماله الفضية يتأملان منظراً رائعاً لخليج لندبرغ، و«موسكيتو بوينت» من خلفه. حيث تعشيا ورقصا على أنغام فرقة محلية، وسارا يداً بيد عبر الحدائق الاستوائية، ثم عادا إلى المنزل تظللهما سماء مليئة بالنجوم تاركين البحر الكاريبي ليقطعا الجزيرة نحو الجانب الأطلسي منها.

بعد وضع كيس المشتريات في السيارة، أمسك نويل بذراعها وعادا إلى القصر، حيث تناولا في مطعمه ألذ ما لديه من طعام واستمعا إلى أغاني «الكاليبسو» المرحة. وقال نويل واعداً:

ـ يجب أن تزوري هذا المطعم في المساء. وسنرقص في قاعة القراصنة.

فضحكت ماكسين:

ـ كان القراصنة يعيشون هنا بالفعل، أخبرني كورت بهذا.

ـ هذا صحيح... فأنت الآن في منطقة القراصنة. القرصان الشهير ذو اللحية السوداء كان يعيش في برج القلعة حيث كان يتمكن من مراقبة السفن المحملة ذهباً والمسافرة من «العالم الجديد» إلى أوروبا.

ـ وماذا حدث له...؟ هل شنق؟

ـ اختفى، بعد أن طعن زوجته بالسيف.
ـ كم كانت أوقات مثيرة!
ـ وخطرة كذلك، فالجميع كان يجري وراء ذهب الجميع.
رفع نويل نظره إلى امرأة تقترب منهما فقال وكأنما يحدث نفسه:
ـ يبدو أنني أعرف هذا الوجه.
وقالت المرأة:
ـ هل لي بالجلوس معكما للحظات؟
دون انتظار رد احتلت مقعداً خالياً وأكملت:
ـ أنت لا تذكرني سيد دواستير؟
ـ أنا آسف... اه بلى... اذكرك. كنت في منزل كورت مرة والتقيت بك هناك.
فابتسمت، ثم نظرت إلى ماكسين، قبل أن تتحدث معتذرة:
ـ ما كان يجب أن أقاطعكما. أجل، التقيت بك في منزل السيد دايفرز منذ سبع سنوات... كيف حال العائلة؟

بعد تقديم ماكسين إلى السيدة اندرهيل، قال نويل للمرأة إن السيدة دايفرز توفيت منذ بضعة أشهر. فقالت:
ـ توفيت؟ لكنها كانت صغيرة في الأربعة والثلاثين كما أذكر.
ـ أعتقد هذا... أجل... هل أنت هنا في إجازة سيدة اندرهيل؟
ـ أجل، جئت إلى هنا منذ أسبوع. وسأبقى لأسبوعين بعد.
نظرت إليها ماكسين لتلاحظ قسمات وجهها الجذابة وعينيها السوداوين كشعرها. إنها تقريباً في الخامسة والأربعين، جسدها يوحي بأنه لفتاة صغيرة وسألت المرأة:
ـ كيف حال كورت؟ أعني هل هو حزين لموت زوجته؟
صمت نويل للحظات ثم أجاب ببرود:
ـ لست أدري... سيدة اندرهيل.

نظرت إليه ماكسين بسرعة متسائلة في نفسها لماذا لم يحدث المرأة عن انفصال الزوجين لخمس سنوات قبل موت الزوجة. وأدركت أن ما منعه من ذلك لم يكن كرهه للمرأة بل لأنه رجل لا يحب الحديث في شؤون حياة اصدقائه الخاصة، خاصة مع الغرباء.
ـ ألا يزال يسكن في منزله؟
ـ أجل... لا يزال هناك. لكنه مسافر في الوقت الحاضر.
خيبة أمل المرأة كانت واضحة:
ـ اوه... ومتى سيعود؟
ـ بعد ثلاثة أو أربعة أيام.
فانجلت أسارير المرأة وقالت وهي تقف:
ـ أظنني سأزوره. أرجو أن لا أكون أزعجتك بحديثي معك سيد دواستير؟
ـ أبداً... مطلقاً. وأرجو أن تتمتعي بإجازتك.
ـ شكراً لك.
وتوجهت إلى طاولة في الزاوية لتتناول غداءها وحيدة فعضت ماكسين على شفتها:
ـ كان بإمكاننا دعوتها للانضمام إلينا.
ـ صحيح... لكن فات الأوان. فنحن على وشك الانتهاء.
ـ تبدو لطيفة.
ـ اه... فضول امرأة؟ لماذا لا تسأليني بصراحة من هي؟
فضحكت خجلة وقد احمر وجهها:
ـ حسناً... من هي؟
ـ أظنها كانت معجبة بكورت، وزوجته الراحلة لم تكن مرتاحة لزيارتها لهم. واذكر أنهما تخاصما بشدة بعد رحيلها.
ـ ألا يعيش زوجها معها؟

www.elromancia.com

ـ مات بعد ثلاث سنوات من زواجهما.

فقطبت ماكسين ونظرت إلى المرأة:

ـ يا لحظها التعيس!

ـ لا أعتقد أنه كان زواج حب. كورت قال لي شيئاً يومها، بأن زوجها كان بسن والدها، وانها تزوجته كي تشعر بالأمان.

ـ بطريقة ما أشعر بالأسف عليها... تبدو وحيدة.

فابتسم نويل:

ـ كم أنت فتاة سخيفة...! لماذا تشغلين رأسك الجميل بامرأة لا تعرفينها؟

ـ إذا كانت قد أحبت كورت، وتركته لأجل امرأة أخرى... فهذا نوع من التضحية.

الكلمات الأخيرة التي تفوهت بها كانت دون وعي، وتعالت حمرة الحرج على وجهها، وبدت تعابير السرور على وجه نويل:

ـ لاحظت أنك تتكلمين وكأن الأمر يحصل الآن. أكنت تفكرين بنفسك؟

ازداد احمرار وجهها... كيف سترد عليه؟ ووجدت نفسها بعد طول صمت تقول، بصراحة:

ـ أعترف أنني كنت أتلفظ بأفكاري نويل... فلو وقعت أنا في الحب... ثم خسرت الرجل لامرأة أخرى... أظنني قد أموت!

وصمت نويل. يراقب تقلب ألوان وجهها، وارتباك اصابعها وهي تقلب الملعقة التي تتناول بها الحلوى... واستمر الصمت طويلاً حتى أنها رفعت عينيها أخيراً، فشاهد الدموع فيهما، فامتدت يده لتغطي يدها، يضغط على اصابعها لتتوقف عن الارتجاف. ثم قال ببساطة:

ـ أحبك ماكسين!

وسمحت لدموعها أن تنهمر، فأضاف بابتسامة رقيقة:

ـ كان لدي أفكار مختلفة عن طريقة قولي هذا لك حبيبتي... جلسة رومانسية، زهور استوائية حولنا، والقمر والنجوم، لكنك انتزعتها مني انتزاعاً. أنا لا أحتمل رؤيتك تعيسة. نحن لا نعرف إلا القليل عن بعضنا... لكننا سنعوض عن هذا. بعد الظهر سآخذك إلى منزلي لنجلس في الحديقة ونتبادل الأسرار... أريد معرفة كل شيء عنك... كل شيء يا أغلى حب.

فالتفت اصابعها حول اصابعه لتتشابك، دون إعارة الاهتمام إلى من قد ينظر إليهما. وتمتمت:

ـ أنا... لا أعرف... لا أعرف ما أقول.

ـ قولي فقط إنك تحبيني.

فضحكت بارتباك وقالت بخضوع:

ـ أحبك... نويل.

ـ كلام جميل... والآن أكملي طعامك يا صغيرتي... فأنا أعرف أن المرء لا يعيش على الحب فقط.

فضحكت ونظرت إلى طبقها... تأكل؟ هذا مستحيل وهي لا زالت متأثرة بالمعجزة التي حصلت للتو. نظرت إليه باعتذار:

ـ لم أعد جائعة...

فرفع اصبعه يسكتها، وقال آمراً:

ـ أكملي الحلوى.

وأضاف أن عليها التعود على طاعة زوجها، فشهقت:

ـ زوجي! تبدو الكلمة... رائعة.

قالت لنويل بعد ساعة وهما عائدان إلى منزله في السيارة:

ـ ماذا سيفكر كورت يا ترى؟

www.elromancia.com

ـ على الأرجح سيغضب لفكرة فقدانه لك قريباً. وسيضطر إلى البحث عن مربية أخرى لولديه.

فقالت بخجل:

ـ قال لي كورت مرة إنك يجب أن تتزوج وتنجب الأولاد لأنك تحبهم.

ـ إذن، كنتما تتحدثان عني خفية... هه؟

ـ لقد ذكرتك كولين على السفينة، ودعتك «بعمي نويل» فظننتك شقيقه. لكنه قال انكما صديقان مقربان.

كانا على وشك الوصول إلى منزله، وأسندت ماكسين رأسها إلى ظهر المقعد تتمتع بالمناظر الخلابة حولها. كانت النباتات المتعرشة الحمراء والليلكية تلتف على الأشجار التي تغطي جانب التل، بينما من الجهة الأخرى أخذت مياه الأطلسي الداكنة تلمع، تزينه الجزر البعيدة. على الجبل نفسه، على بعد قليل من الطريق، شاهدت بيوت الأثرياء، الذين استقروا في الجزيرة هرباً من ضجيج المدن وصخبها. فهنا يشعر المرء بالهدوء والحياة الساكنة إضافة إلى الطقس الجيد. كما لاحظت الحدائق المحيطة بكل ڤيلا. كما تظهر برك السباحة لماعة من وقت إلى آخر. كل مدخل لمنزل كان صورة بحد ذاته بأبوابه الحديدية المقنطرة، أو أحجاره المحفورة، والمصابيح فوق العواميد... ما من أحد قام باختراع هذا الجمال، فهذا كله موجود، ومن صنع الخالق.

توقفت السيارة بهما عند المدخل، وسارع خادم محلي ليأخذها إلى الكاراج. ورفعت ماكسين نظرها إلى نويل، ، همست لنفسها وهي تهز رأسها:

ـ لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً.

تحدثت ماكسين عن نفسها لأكثر من نصف ساعة، تجيب على العديد من الاسئلة التي طرحها نويل... ثم صمتت. وجهها حزين لتفكيرها بكيم، متمنية لو أنه موجود ليتمتع بجمال هذه الجزيرة. فمال نويل في مقعده ليمسك بيدها. وقال:

ـ أعرف تماماً كيف تشعرين بالخسارة. فلقد خسرت شقيقتي في حادث تصادم... ربما ذكر لك كورت هذا؟

فهزت رأسها:

ـ أجل... لقد فعل... قتلت أختك في نفس الوقت الذي قتل فيه كيم كما أظن؟

ـ يبدو أنه في نفس اليوم. لكن حادثنا كان في المساء، وكان الظلام شديداً. المرأة التي تسببت بالحادثة لم تتوقف سوى لحظات ثم انطلقت دون أن نعرف من هي.

ـ من الإجرام أن يقود الناس هكذا... أتريد أن تخبرني شيئاً عن ڤيغا؟

غلف وجهه قناع من المرارة وكأن كل شيء في داخله قد تجمد. لكنه قال أخيراً بهدوء كئيب:

ـ كانت فتاة جميلة... ولها شخصية ساحرة... أنا لا أقول هذا لأنها كانت شقيقتي ماكسين، فهي كانت في الواقع مميزة في كل شيء. ولا يمكن أن أصدق كيف تقع مخلوقة يانعة مثلها ضحية متهتكة مستهترة تقود سيارتها على الطريق.

وتابع كورت يقص عليها ما حدث، كيف خرجت السيارة من طريق جانبي إلى الطريق الرئيسي دون الابطاء من سرعتها، وكيف أن سيارتهما صدمت عموداً كهربائياً في محاولة لتفادي تلك السيارة. اصطدم رأس ڤيغا بالباب وماتت على الفور، لم تشعر بشيء. لكن هذا لا يواسيني. فلقد أنهت امرأة مجرمة حياتها... وهربت

بفعلتها، وهي ما زالت حرة لتعاود هذه الجريمة مرة ثانية.

لم تستطع ماكسين الكلام. أحزنتها مرارته الظاهرة في نبرات صوته، واستغرق نويل بتفكيره. ومر الوقت مع استمرار حزنه، لكنه فجأة أخرج نفسه من أفكاره التعيسة وأمسك بيدها ليرفعها إلى شفتيه:

ـ حبيبتي... أنا آسف... فأنا لم أعد أفكر بتلك المأساة هذه الأيام... إنها من الماضي، والأفضل نسيانها. لكننا أحياناً يصعب علينا النسيان.

فأمسكت بيده بحنان ووضعتها على خدها قائلة:

ـ أنا على عكسك حبيبي... لن أعيش وأنا أعرف أن الحادثة سببها سائق مجرم.

غيّر نويل الموضوع بسرعة فتحدث عن أمه، فأصغت ماكسين له دون أن تقول إن كورت أخبرها القليل عن الأمر. وأكمل نويل:

ـ الفتاة التي تزوجت أبي كانت بنصف عمر أمي. ولست أدري ما الأمور المشتركة التي تجمعها برجل في الخمسين من عمره. إنها عاهرة بكل ما في الكلمة من معنى!

ـ أعتقد أن هذه الأحداث هي التي جعلتك تبغض النساء.

ـ صحيح... ثم ظهرت في حياتي، وأبدلت نيتي في البقاء عازباً.

ـ وكارولا... كنت تبدو معجباً بها جداً.

تلاشت ابتسامته، وبدا ضائعاً للحظات. وتوقعت أن يقول لها إن كارولا طفلة مدللة تنوي الزواج لأجل المال. لكنه قال بعفوية وثبات:

ـ عرفتها عبر أبيها، الذي لي معه علاقات تجارية قوية. يوماً ما ستكون زينة جميلة لبيت رجل ثري... لكن بالنسبة لي، أنا أرغب

في أكثر من ارضاء العين... بالنسبة للزوجة.

فنظرت إليه، إلى قسماته المتعجرفة التي تلطفها ابتسامته، وإلى كتفيه المستقيمين الارستقراطيين، متأملة رشاقة جسده الذي يخفي القوة فيه... والتقطت أنفاسها أمام سحره الغريب... كيف حدث أن استطاعت هي، النكرة، التي كانت تعيش حياة روتينية تقضي معظمها في عملها لتعود لتقضي بقية وقتها في عمل المنزل، كيف استطاعت أن تجذب رجلاً مثله؟ للحظة ظنت الأمر حلماً جميلاً ستستيقظ منه فجأة. وسمعت كورت يسأل بحدة:

ـ بماذا تفكرين ماكسين؟... تبدين بعيدة جداً عن السعادة.

أجفلت للحظة ثم أجابت بصدق:

ـ أحسست أنني قد أستفيق من هذا الحلم الجميل، وأجدك قد اختفيت.

ـ أنت وأنا لن نفترق بسهولة... كنت أنتظر منذ زمن طويل أن ألتقي بالفتاة المناسبة لي كزوجة وها قد حصلت عليك... وسأحتفظ بك إلى الأبد.

واحتواها بين ذراعيه، فاستكانت بينهما... من حولهما الهواء الاستوائي الناعم يحمل معه إليهما الروائح العطرة من الزهور الغريبة... وفي البعيد وتحت أقدام الجبل كانت مياه الأطلسي تلامس أقدام الصخور الجميلة وكأنها تحفر قوس الخليج باستمرار... ولمعت الجزر في الشمس كجواهر خضراء تزين ثوب المحيط الأزرق...

ابتعدت ماكسين أخيراً عن أحضان حبيبها لتتأمل الجمال المحيط بها، ثم عادت لتغمض عينيها وتلتصق به من جديد... كلماته الجميلة تبعث السرور في نفسها، عناقه مطمئن قاس ومتملك، مع

www.elromancia.com

ذلك مرت في جسدها قشعريرة... قشعريرة منذرة بسوء أثارت ارتباكها.

●●●

٦ ـ ألم الحب

كانت ماكسين تنوي إخبار كورت بخطبتها ساعة وصوله، وتطلب منه التفتيش عن مربية تحل مكانها. لكنه لحظة وصل، بدا على وجهه التعب، فسألته قلقة:

ـ هل أنت مريض كورت؟ يجب أن تخلد للراحة في فراشك.

حتى الولدان كانا صامتين ينظران إلى أبيهما بقلق، فتابعت سؤالها:

ـ ما الخطب؟ لقد فقدت الكثير من وزنك!

فهز رأسه:

ـ لقد التقطت جرثومة هناك، واستدعت شقيقتي الطبيب، وطلب أن أدخل المستشفى، لكنني قررت العودة. وشقيقتي كذلك أصيبت بنفس الجرثومة لكنها لم تمرض كثيراً مثلي. أظن أن ما أكلناه هو السبب... سأذهب إلى الفراش عزيزتي... وأتوقع أن استرد صحتي في يوم أو يومين.

ـ سأتصل بالطبيب... لا تقلق كورت... اذهب إلى فراشك لترتاح.

ـ لم اسألك عن أحوالك في غيابي. أعتقد أنك قمت مع نويل بنزهات عديدة؟

ـ أجل كورت لقد تنزهنا. والآن اذهب... سأصعد إليك بعد أن

www.elromancia.com

تدخل الفراش لأرى إذا كان ينقصك شيء. وسأتصل بالطبيب.

واتصلت بنويل كذلك، فحضر بعد عشر دقائق بسيارته:

ـ هل الأمر خطير؟ أقلقني صوتك على الهاتف.

ـ لقد أحسست بأن الأمر خطير... فهو يبدو بحالة مريعة.

ـ سأصعد إليه... هل الطبيب قادم؟

ـ لم أجده في عيادته... لكن الممرضة أكدت لي أنه سيحضر فور عودته.

ـ لا شيء يمكن أن نفعله. ولا أظنه سيتأخر في الوصول.

فاطعتهما كولين بصوت يكاد يبكي:

ـ عمي نويل... هل أبي مريض جداً؟

ربت نويل على شعرها الأشقر، ثم أمسك وجهها الصغير بيده ليضمها إليه.

ـ سيكون على ما يرام كولين. فلا داعي للدموع، كل ما عليك فعله أن تكوني طيبة ولا تقلقي والدك مهما حصل. فهمت؟

ـ لن نذهب إلى غرفته إلا إذا سمحت لنا عمتي ماكسين، أليس كذلك مورغان؟

فرد مورغان وشفتاه مشدودتان:

ـ أريد أن ينزل أبي إلى هنا... لا أحبه أن يبقى في الفراش...

فقال نويل بصوت حازم:

ـ لقد سمعتني... لن تصعد إليه إلا إذا سمحنا لك... هل هذا واضح؟

هز الصبي رأسه حانقاً، فطلبت منه ماكسين الخروج ليلعب مع كولين في الحديقة... وقالت واعدة:

ـ سنصعد ونجلس معه إذا سمح لنا الطبيب.

بعد بضع دقائق قالت ماكسين لنويل:

ـ لم يعجبني منظره أبداً... يبدو أنه يزداد سوءاً... لو أننا نعرف أين هو هذا الطبيب!

فأجابها نويل بسرعة:

ـ سنجد أين هو!

اتصل نويل بالعيادة، ثم اتصل مرة أخرى بمنزل المريض الذي يزوره الطبيب فوجده.

ـ هل وجدته؟

ـ أجل... وهو في طريقه إلى هنا.

صوت نويل متجهم، وأنظاره تتجه نحو الولدين في الحديقة. ولم يكن يصعب على ماكسين قراءة أفكاره، فابتلعت ريقها بصعوبة.

وصل الدكتور غرين بعد عشرين دقيقة. رافقه نويل إلى غرفة كورت... وبدا لماكسين أن الوقت لن ينتهي قبل أن يعود الرجلان إلى غرفة الجلوس حيث تنتظر ودقات قلبها تتسارع، وتفكيرها يدور فيما قد يحدث وسمعت الطبيب يقول وهو يدخل مع نويل:

ـ بصراحة... لا أعرف نوع مرضه سيد دواستير. وكما قلت لك سأتدبر أمر إدخاله المستشفى.

فسألته ماكسين دون تفكير:

ـ هل الأمر خطير؟

فتنهد الطبيب بنفاذ صبر:

ـ لست أدري.

وتدخل نويل بصوته العميق الهادىء:

ـ نحن مضطربان كما لا بد عرفت. ومن الطبيعي أن نرغب في معرفة حالة السيد دايفرز.

ـ أفهم هذا... وأتمنى لو كنت أعرف.

وبدا على الطبيب الحرج لعدم استطاعته تشخيص المرض،

www.elromancia.com

فسارع نويل، متفهماً بالقول له إن أطباء فلوريدا كذلك احتاروا بأمر مرضه... ورافق الطبيب حتى الباب... وعندما عاد أقلقها منظر وجهه... وسألها:

- هل ذكرت له أنك ستتركينه؟

هزت رأسها نفياً قائلة:

- يجب أن نبقي خطوبتنا سراً.

مع أنه قطب قليلاً إلا أنه وافقها الرأي. وتقدم منها:

- لو أذعنا الخبر سيصل إليه عبر زواره في المستشفى... لم يكن في نيتي الانتظار حبيبتي... لكن يبدو أن هذا واجب علينا. قد أتزوجك في الغد لو استطعت.

أحست ماكسين وكأن غمامة ثقيلة تظلل قلبها وتغرقه في ظلمة دامسة. وقالت تغير الموضوع:

- سيحزن الأولاد لدخول أبيهم المستشفى. ولست أدري كيف سأخبرهما بهذا.

- سأخبرهما بنفسي.

بعد ساعتين من نقل كورت إلى المستشفى، التي لا تبعد أكثر من ثلاثة كيلومترات عن منزله، رفعت ماكسين نظرها لترى السيدة اندرهيل قادمة من الطريق المتجه رأساً إلى المنزل، ثم تتجه نحوها حيث تقرأ كتاباً للولدين الجالسين أمامها فوق سجادة مدتها لهما فوق العشب. وقالت المرأة:

- سمعت صوتك فجئت إليك أولاً. هل كورت هنا؟ أود رؤيته. لكن إذا كان مشغولاً... أو أي شيء... فلا أريد ازعاجه... أذكر أن زوجته قالت مرة إنه دائماً في مكتبته.

أحست ماكسين بالحيرة أمام تصرف المرأة... ظاهرياً كانت

تبدو واثقة من نفسها... رغم ذلك فقد بدا عليها التوتر والاضطراب. وعلمت ماكسين أن هذا نتيجة خوفها من أن لا يُسرّ كورت لرؤيتها... وبدت من ناحية أخرى تتوق لرؤيته. والانطباع الذي فهمته ماكسين، أن المرأة أجبرت نفسها على هذه الزيارة. فقالت لها بصوت رقيق:

- آسفة سيدة اندرهيل. كورت في المستشفى منذ ساعتين. عاد هذا الصباح من فلوريدا مريضاً، ونصحه الطبيب بدخول المستشفى. ولا نعرف ما مرضه.

فشحب وجه المرأة قليلاً:

- في المستشفى؟ هل الأمر خطير؟

- لا نعرف بعد سيدة اندرهيل. لم يستطع الطبيب تشخيص مرضه. وسأتصل بالمستشفى هذا المساء لاطمئن عنه.

شعرت ماكسين بالشفقة تجاه هذه المرأة، وتذكرت أن نفس الإحساس شعرت به تجاهها عند أول لقاء بينهما. ألا زالت تهتم بكورت يا ترى؟ ألا زالت تتعلق بأمل أن تحظى بفرصة ثانية بعد أن أصبح الآن أرملاً؟ وهي تراقب ارتجاف فم المرأة عرفت أنها لا زالت تأمل، على الرغم من جهدها لاخفاء هذا الأمر.

وتمتمت المرأة:

- إذن لا تعرفين كم سيبقى في المستشفى؟

هزت ماكسين رأسها نفياً فتابعت المرأة هامسة:

- إنه قدرنا أن لا نلتقي... ليتني ما جئت... أرجو أن يصبح كورت على ما يرام لأجل الأولاد. أنا آسفة لازعاجك آنسة مارتن.

استدارت تكمل من فوق كتفها:

- عمت مساء... أرجو أن لا تذكري أمامه أنني زرتك.

www.elromancia.com

باندفاع نادت ماكسين المرأة:

ـ سيدة اندرهيل!

فاستدارت المرأة، وجهها الجميل مكتئب، بدت كطفلة أكثر من أن تكون امرأة تقارب منتصف العمر:

ـ هل استطيع دعوتك لتناول الغداء معي؟ لا... أرجوك لا ترفضي... نحن عادة نتناوله في الساعة الواحدة والوقت قريب الآن.

ـ لكن... الازعاج...

ـ لا ازعاج أبداً... ابقي معنا أرجوك سيدة اندرهيل... سأذهب لأحضّر كرسياً اخر لك.

لم يكن صوت المرأة المنخفض ثابتاً، لكن عينيها اللوزيتين بدتا أكثر سعادة:

ـ أنت لطيفة جداً. لكن الولدين... كنت تقرأين لهما.

فابتسمت ماكسين لهما:

ـ إنهما لن يمانعا.

تجاوب الولدان على الفور مع وجود المرأة وقالت كولين:

ـ أيمكن للسيدة أن تقرأ لنا المزيد بينما تطلعين رونزا على وجودها للغداء معنا؟

نظرت ماكسين متسائلة إلى السيدة، التي قبلت متشوقة دعوة كولين، مضيفة وهي تتحضر للجلوس:

ـ هل لي أن أجلس مكانك؟

ـ طبعاً...

وتحركت مبتعدة بخفة، وأخذت تفكر بها مع الغداء، الذي تناولوه في غرفة الطعام الأنيقة التي تطل نافذتها الجانبية على منظر

للحديقة المتدرجة نزولاً حتى حدود أشجار النخيل المحيطة بالبركة.

صوت السيدة أعاد ماكسين إلى الواقع:

ـ لكورت منزل جميل.

كانت ماكسين تحاول أن تجد سبباً لهذه الخفة الروحية التي اصابتها، لكن مع تدخل المرأة توقفت عن التفكير، لتعطي بأدب كل اهتمامها للمرأة... وتطلع الولدان اللذان كانا يتحدثان مع بعضهما بهدوء إلى زائرتهما عندما تحدثت... وأجابتها كولين:

ـ هل أعجبك المنزل؟... نحن نحب الحياة هنا. لكننا لم نعش طويلاً مع أبي. كنا نعيش مع أمنا في كندا، ونأتي لزيارته في تموز وآب من كل سنة فقط.

ـ مع أمكما؟

واستدارت المرأة بسرعة إلى ماكسين، ومع أن ماكسين أعدت نفسها للرد على السؤال إلا أن المرأة لم تطرحه... وهذا أمر كانت ماكسين ممتنة له. فهي لم يكن لديها الرغبة في مناقشة شؤون مخدومها مع السيدة، فهي في مطلق الأحوال غريبة... لكن كولين وببراءة، ودون لباقة، أكملت حديثها مجيبة على السؤال الذي لم يطرح، وعلمت السيدة بالانفصال بعد سؤال أو سؤالين مؤدبين:

ـ هل انفصلا مدة طويلة آنسة مارتن؟

ـ حوالي الخمس سنوات ونيف... لا أعرف أسرار كورت في الواقع، فقد التقيت به وقت الميلاد تقريباً... كنا نسافر على نفس السفينة...

فقاطعها مورغان:

ـ كان أبي عائداً بنا إلى هنا... في سفينة رحلات بحرية، لكن عمتي ماكسين لم تلحق بالسفينة هنا لأنها أقامت عندنا لفترة.

وأكملت كولين شارحة:

www.elromancia.com

ـ لقد فاتتها السفينة.

والتفتت لأخيها تقول له أن لا يتكلم وفمه مليء بالطعام. ثم أكملت:

ـ تعطلت سيارتنا وطلب أبي من عمي نويل أن يوصلها إلى السفينة لكن عندما وصلا كانت السفينة قد أبحرت وتركتها.

وصاح مورغان:

ـ وكنا سعداء بهذا كولين أليس كذلك؟

ـ أجل... لأن عمتي ماكسين لم تعد قادرة على السفر.

قررت ماكسين أن تجعلهما يصمتان بعد أن أعطيا صورة كافية عما حصل للسيدة اندرهيل:

ـ لكنني في النهاية سافرت.

ـ لكنك سرعان ما عدت لتعتني بنا.

ابتسمت السيدة:

ـ أهذا ما حدث؟

فهزت ماكسين رأسها.

ـ لم يكن لي روابط في كندا. وبما أنني أحببت الولدين، وأحباني، قبلت عرض كورت للعمل.

فاستندت السيدة إلى كرسيها لتقول:

ـ من حسن حظه أنك هنا في مثل هذا الوقت. ولا بد أنك تتمتعين برعاية ولدين رائعين مثلهما... لطالما ندمت على عدم انجابي للأطفال!

ـ من الرائع وجود الأطفال.

سألت ماكسين المرأة إذا كانت تريد المزيد من الطعام، ثم قالت وهي تنظر إلى قطعة الحلوى بالكرز المتبقية في طبق السيدة:

ـ أنت لم تأكلي الكثير.

ـ عليّ المحافظة على ثبات وزني. وأنا متشددة مع نفسي جداً، فلست أنوي مطلقاً أن يزداد وزني وأشيخ قبل الأوان.

لدى مغادرة المائدة، ركض الولدان إلى الحديقة، وطلبت ماكسين القهوة لها وللسيدة اندرهيل، لتتناولاها على الشرفة... وسألت السيدة:

ـ إنهما عادة في المدرسة، أليس كذلك؟ هما اليوم في المنزل بسبب عودتهما من زيارة فلوريدا؟

ـ هذا صحيح. لقد وصلا بعد التاسعة.

قربت طاولة صغيرة لتضعها أمام الزائرة، ثم جلست مكملة:

ـ سيذهبان غداً إلى المدرسة.

أكملت المرأتان الحديث معاً، وبالقراءة بين السطور، فهمت المزيد عن تلك المرأة. اسمها الأصلي كلوديا ڤالواي، وكانت في الثلاثين من عمرها عندما التقت كورت وأحبته وكان يومها في الرابعة والثلاثين. وعلى معرفة بدوروثي البالغة من العمر سبعة عشر سنة.

ـ أعتقد أنني كنت قذرة... لقد حاولت تفريقهما وأعترف بهذا، لأنني، كما ترين، كنت أعرف بالغريزة أنهما لا يناسبان بعضهما، وأحسست أنني سأسعده أكثر مما ستتمكن هي من إسعاده. لكن، امرأة في الثلاثين ليس لها فرصة أمام فتاة جميلة في السابعة عشرة؟ وربحت المعركة، وانزويت، وأخيراً تزوجت، لمجرد أن يكون لي رفيق، أكثر من أي شيء آخر، وللأمان... لم نتخاصم أنا وزوجي يوماً. لكننا من ناحية أخرى لم نكن مقربين بمعنى الكلمة. وحزنت جداً عندما مات.

وصمتت كلوديا اندرهيل، مفكرة، وماكسين تراقب تعابير وجهها وهي تتذكر كل تلك السنوات التي لم تكن سعيدة فيها مع زوجها الذي لم تحبه أبداً. وأعجبت بصراحتها وصدقها، رافضة أن تعتبرها

www.elromancia.com

قذرة كما وصفت نفسها. فمن وجهة نظر ماكسين أنها كانت ستسعد كورت أكثر، فهي صادقة ومخلصة، رقيقة وجميلة، ولديها أسلوب لاحظه الولدان. فعندما سألتهما عنها وقت غسل أيديهما قبل الغداء أجابا بأنها «لطيفة».

ـ أعتقد أنه قد مرت سنوات منذ وفاة زوجك؟

ـ تسع سنوات.

والتقطت كلوديا فنجان القهوة وارتشفت القليل منه، وعيناها تتجهان إلى حيث يلعب الولدان. وأكملت:

ـ بدأت بالسفر. وعندما رست السفينة هنا، لم استطع مقاومة الاغراء في رؤية كورت وزوجته.

ـ أنت إذن لم تتخاصمي معهما؟

ـ أبداً... لقد افترقنا كاصدقاء... كنت أشك في إدراكه اهتمامي به لكنه لم يعلم مطلقاً أنني حاولت الفصل بينهما لو أتيحت لي الفرصة.

ـ وأين كنت تعيشين يومها؟

ـ كلنا كنا نعيش في نيويورك. كنت سكرتيرة شريكه... واشترى هذا المكان بعد سنتين من زواجه. يوم زرتهما بدوا لي سعيدين. وكانت كولين طفلة صغيرة رائعة... مورغان لم يكن قد ولد بعد طبعاً.

ثم لاذت بالصمت وعيناها تتجهان مرة أخرى حيث يلعب الولدان فوق العشب. فقالت ماكسين دون أن تعرف سبب قولها أو أساسه:

ـ كم أتمنى لو أنه كان اختارك أنت...

حدقت ماكسين بضيفتها مذهولة مما تفوهت به لتوها، واحمرت وجنتاها:

ـ اوه... أنا آسفة... أنا... لم أقصد إيلامك!

فابتسمت المرأة وهزت رأسها:

ـ لا تعتذري. لطف منك قول هذا.

السكوت الرهيب الذي تلا هذا الكلام، كان يغلفه التوتر. لم ينقطع إلا بعد أن أطلقت كلوديا نفساً عميقاً طويلاً متنهدة ثم تمتمت وعيناها اللوزيتان مبللتان بالدموع:

ـ ماكسين... لقد مر زمن طويل لم يكن أحد لطيفاً معي هكذا. وأنا أشكرك.

ومدت يدها إلى جيبها تخرج منديلاً. فسارعت ماكسين للقول:

ـ أتودين البقاء معنا؟... نتناول العشاء في السابعة بسبب الولدين. إذا أحببت سآخذك إلى غرفة نوم الضيوف لترتاحي وتغتسلي فيها.

هزت كلوديا رأسها ولحقت بماكسين إلى داخل المنزل... الغرفة التي اختارتها لها كانت مزينة بلونين مختلفين من اللون الليلكي، بينما كان الأثاث أبيضاً. منظر الغرفة يطل على الحديقة والبحر معاً، وكان الصوت الوحيد المسموع هو صوت الولدين يلعبان في الحديقة. وقالت ماكسين لها، متفهمة:

ـ ربما أنت بحاجة للراحة فوراً.

واستدارت على عقبيها لتخرج، متجهة إلى غرفتها حيث وقفت في منتصفها تشعر بالسعادة والحزن في آن معاً، وأخيراً فهمت سبب شعورها بالخفة وهمست لنفسها:

ـ أنا واثقة أنهما سيتفقان.

فهي في قرارة نفسها كانت قلقة، تتساءل عما إذا كان كورت سيجد امرأة لطيفة متفهمة تعتني بولديه... لكن قلقها تبخر لحظة

www.elromancia.com

وصول كلوديا تقريباً، تعرف الآن السبب، أما حزنها فهو أمر مؤقت سببه قصة كلوديا الحزينة... وكورت لا يمكن أن يكون مرضه خطيراً. لا... لا يجب أن يكون خطيراً!

لم يمض على نزولها إلى الطابق الأرضي أكثر من خمس دقائق حتى وصل نويل. وشاهده الولدان أولاً وهو يطوي بخطواته العريضة المسافة بين البوابات والمنزل. وبصيحات الفرح ركضا لمقابلته، ورفع كولين إلى ذراعيه، ثم وضعها على كتفه، ثم رفع مورغان ليحتل الكتف الآخر، متابعاً سيره بنفس الرشاقة.

وارتعش قلب ماكسين لرؤيته وتمسكت بدرابزين الشرفة كأنها ستقع. فشعورها نحوه يسبب لها ألماً جسدياً. عاطفة قوية تحمل بعضاً من الألم إلى قلبها، وتبقى هناك. أراح نفسه من حمله ليقبلها على جبهتها.

فصاحت كولين:

ـ اوه... هذا ليس منصفاً! لقد وعدتني بأن تحتفظ لي بكل قبلاتك! وقلت إنك لا تحب سوى الفتيات الصغيرات، ولا تحب الكبيرات.

فضحك واستدار ليقبلها:

ـ أبداً... لم أقل هذا فأنا أحب كل الفتيات.

ـ بل قلت إنك تحب الصغيرات. ألم أقل لك هذا عمتي ماكسين؟

ـ أجل كولين، قلت لي هذا.

فصاح نويل مداعباً مدّعياً الغضب:

ـ أقالت لك هذا... يا إلهي! انزلي عني أيتها الخائنة... فلقد أفشيت سري لها.

ـ ألا تريد قبلة مورغان؟

ـ لا... لا أريد! فأنا صبي كبير، والصبيان لا يتلقون القبلات!

بعد دقائق قال لهما آمراً:

ـ هيا اذهبا للعب.

قالت له بعد ذهاب الولدين:

ـ السيدة اندرهيل هنا. زارتنا قبل الغداء وطلبت منها البقاء... إنها وحيدة يا نويل.

قبل أن يتمكن من قول شيء اندفعت تخبره بقصتها وختمت كلامها بالقول إنها ستبقى للعشاء.

ـ ظننت أن هذا سيكون جيداً لها، كي تكون هنا عند اتصالي بالمستشفى فتعرف إذا كانت ستتمكن من زيارته أم لا.

فقطب نويل:

ـ وكيف تعلمين أن كورت قد يريد رؤيتها؟

ـ كنت أتمنى... أترى، إنها لا زالت تحبه، رغم كل السنين. ألا تظن يا حبيبي أن من الرائع أن يحبها كورت من جديد، ويتزوجا؟

فاتسعت عينا نويل ذهولاً:

ـ يا إله السماوات! ألست تبالغين بدفع الأمور؟ من المرجح أن يكون كورت نسيها. فهو لم يهتم بها أصلاً... أظن أن الكثيرات وقعن في حبه عندما كان شاباً.

ـ إذن أنت لا تؤيد وجهة نظري؟

ـ لا... أيتها المدبرة للزيجات. والآن امسحي هذا العبوس عن وجهك واعطي سيدك ومولاك ابتسامة!

الألم في قلبها شفي لكلماته. مع أنها كانت لا تزال تحس بألم لا علاقة له بحبها، وابتسمت كما أُمرت. لكنها رفعت رأسها وكأنها تود إخباره بأنه لم يصبح سيدها بعد... وقالت:

ـ حتى ولو تزوجنا... لن أكون زوجة خانعة... لأنني أنوي أن

www.elromancia.com

تكوني لي إرادتي الخاصة!

ـ هل بدأت بالتمرد؟ أتودين أن أضربك كي تخضعي، أم أبادلك الحب؟

فضحكت مرتجفة وقالت:

ـ كنت أمازحك!

ـ خفت مني... أليس كذلك؟ أجل، أعتقد أن علي إظهار حبي لك... كي تعرفي من هو السيد.

فسعلت مرتبكة، وحاولت تغيير الموضوع:

ـ السيدة اندرهيل، كلوديا، التي كنت أكلمك عنها... لا أوافقك الرأي بشأنها وأظن أن كورت سيهتم بأمرها مهما قلت العكس لأنها طيبة جداً يا نويل...

وتلاشى صوتها بعد انفجار نويل بالضحك. ثم وقف وجذبها إليه. وأحست بمداعباته كمثل نسيم الصيف البارد... ثم أحست أنه يتملكها بين ذراعيه سارقاً كيانها بحماسته وقوته فشهقت محاولة التملص:

ـ نويل... أرجوك!

أخيراً أبعدها قليلاً يمسك بذراعيها بلطف ثم قال بسرور:

ـ إذن... أنا قادر على إخافتك، كما يبدو. لا تقلقي يا حبي العزيز الجميل. لن اؤذيك مطلقاً. هل أخفتك حقاً حبيبتي؟

فغطت وجهها بقميصه:

ـ قليلاً... فقط. أو... ربما كنت خائفة من نفسي!

ـ من نفسك... حبيبتي.

وأغرقها ثانية في دوامه حبه الحار... هي من تسببت بهذا، طبعاً، ولم تحاول المقاومة، بل أعطت نفسها بالكامل للذة تلك اللحظات... لكنه عندما حاول الابتعاد أكثر، أمسكت بيده بثبات

لترفعها إلى خدها... فضحك بنعومة وابتعد عنها قليلاً كي يتطلع إلى عينيها الناعستين، المظللتين ينعكس منهما شوقها إليه. وقال لها:

ـ يا حبيبتي الصغيرة المحترسة... أحبك بجنون!

فضحكت بحياء، رداً على ضحكته، وهمست:

ـ أحبك كثيراً. لكن كم، لا استطيع أن أقول. كل ما أعرفه أنك في مدة قصيرة أصبحت كل حياتي. وبدونك قد أموت...

ـ لن تكوني بدوني... مطلقاً!

دون أن تفهم السبب، نظرت إلى عمق عينيه لتسألهما وتسأله:

ـ مهما حدث... ستستمر في حبك لي؟

ما هذه الكلمات تسألها لمحب؟ صوته، تعبيرات وجهه، مداعباته، خشونته الناعمة... كلها كانت تبرهن عن حبه الملتهب. مع ذلك فالسؤال برز من مكان ما في زوايا تفكيرها لتتفوه به من بين شفتيها المرتجفتين.

ـ حبيبتي ما بك؟ حبنا إلى الأبد، يجب أن تتأكدي من هذا. إنه ليس بالحب السطحي، أو تجاذب جسدي فقط، إنه شيء عميق ودائم يبقى إلى النهاية. وهذا ما ليس لدي أدنى شك فيه، فلم السؤال؟

ـ لأنني سخيفة... فأنا سعيدة لدرجة الخوف... وأظن الرجل يفكر بطريقة مختلفة عن المرأة... إنه لا يفكر بالمخاوف السخيفة أو الشكوك. ولا يرى صوراً ليست موجودة.

ـ صور؟ ما نوع هذه الصور؟

ـ صور... كارثية.

فهزها، ثم لكمها ممازحاً:

ـ توقفي عن السخف! وأعني هذا يا ماكسين!

لم يكن في كلامه أية نعومة، بل على العكس، وجهه متجهم متطلب، وفكه مشدود، عيناه تلمعان بالتحذير:

www.elromancia.com

ـ اخرجي هذا الأفكار من رأسك... أسمعت؟

ـ أجل... أنا آسفة... لا تنظر إلي هكذا نويل.

ولانت أساريره، ولبلحظات طويلة تنعمت بالإثارة بين ذراعيه... ثم سألها بلطف:

ـ هل أنت أفضل حالاً الآن؟

فهزت رأسها وقالت:

ـ لست أدري ما دهاني.

فقال لها بوقاحة جعلتها تحمرّ خجلاً:

ـ ربما بسبب مشاعر مكبوتة. وأتمنى أن لا يطول الوقت إلى أن نتزوج... لا تحسي بالحرج يا حلوتي... الأمر طبيعي. بالنسبة لي فأنا أريدك الآن... في هذه اللحظة!

●●●

٧ ـ قلوب منكسرة

أمام خيبة أمل ماكسين وكلوديا، لم يسمح الأطباء بزيارة كورت... وقيل لماكسين على الهاتف إنه مرتاح. وأضاف الصوت الحازم الذي يرد عليها، أن «لا» لم يكتشفوا بعد ما به.

قالت كلوديا بصوت فاتر مستسلم:

ـ لدي قناعة بأنني لن أقابله. وسأبقى على اتصال بكم إلى حين مغادرتي الجزيرة.

نقلت نظرها من ماكسين إلى نويل الذي حضر بعد العشاء ليبقى معهما قليلاً، وأكملت:

ـ سأكون سعيدة جداً عندما أعرف أنه قد تحسن.

سارعت ماكسين لترد:

ـ طبعاً يجب أن تبقي على اتصال.

وتمنت لو أن نويل يبدي قليلاً من الود نحو كلوديا، فهو كما قال لها، لا وقت لديه يفكر فيه بامرأة تلاحق رجلاً. فالرجل هو من يقوم «بالصيد» كما رتبت الطبيعة هذا... وأكملت ماكسين كلامها:

ـ تعالي إلى هنا متى شئت. أتمنى لو استطيع دعوتك للبقاء هنا، لكنني لا استطيع التمادي إلى هذا الحد.

ـ لطف منك أن تفكري بهذا ماكسين، لكن كما قلت، لا استطيع البقاء دون إذن من كورت، وسأقبل دعوتك بالمجيء لرؤيتك. فأنا

www.elromancia.com

وحيدة كما تعلمين، وسأكون سعيدة برفقتك من وقت لآخر.

تطلعت إلى نويل، وجهه الوسيم جامد، وقفت كلوديا والتقطت حقيبتها عن «الكنبة» حيث كانت تجلس:

ـ سأودعكما الآن...

تلاشت ابتسامتها، وبدت متوترة غير واثقة من نفسها، وهي تتراجع باتجاه الباب.

ـ سأتصل بك غداً بعد الظهر، إذا سمحت؟

فدعتها ماكسين متسرعة:

ـ تعالي للغداء. لا حاجة لأن تبقي وحدك. سأحب أن تكوني معي، كذلك الولدين.

عادت الابتسامة لتظهر على ثغر المرأة من جديد:

ـ سأجيء لتناول الغداء.

وتوجهت مع ماكسين إلى الباب، لتقول لها بصوت منخفض:

ـ لا أظنني أروق للسيد دواستير... هل هو حبيبك؟

أحست ماكسين بالحذر، أفكارها توجهت فوراً إلى لقاء محتمل للمرأة مع كورت، وهذا أمر ستتأكد بنفسها من حصوله. فسارعت تقول:

ـ إنه صديق، كلوديا. يعرف كورت منذ سنوات، يزوران بعضهما بصورة دائمة. وهو قلق الآن جداً لأجل كورت.

تودعتا... وبعد اختفاء المرأة عن الأنظار عادت ماكسين إلى غرفة الجلوس. حيث كان نويل يقف عند النافذة، يبدو عليه التوتر. أحست بأنه سيؤنبها فاستبقته بالسؤال عن زوجة كورت. وبعد أن وصفها لها، جميلة، بنية الشعر، رمادية العينين، أضافت سؤالا:

ـ أكانت أماً صالحة؟

ـ أعتقد هذا فكورت لم يتذمر يوماً من معاملتها لولديهما، وكانا سعيدين كفاية... أظنك كنت تتوقعين أن أقول بأنها لم تكن أماً صالحة، وأن السيدة اندرهيل كانت ستكون أفضل منها؟ حسناً، بما أنني لم اسع وراء أسرار كورت الحميمة في المسائل الشخصية، أقول لك انني لا أعرف.

ابتلعت ماكسين ريقها متوترة. وأحست بالاكتئاب لأنها ظنت بأن أمله خاب بها قليلاً، وأنه اعتبرها أنثى فضولية لا تتورع عن التدخل في شؤون الناس. فسألته:

ـ هل أنت غاضب مني؟

ـ أنا مندهش لتدخلك في أمر ليس من شأنك. وكما قلت لك ليس لدي وقت للتفكير بامرأة تطارد رجلاً... ولو بحثت عن الحقيقة، قد تجدين أنها يجب أن تلوم نفسها على عدم اهتمام كورت بها.

ـ أنت غير لطيف بكلامك هذا... المرأة لا تستطيع فعل شيء أمام وقوعها في حب رجل. ولا بد أن حبها لكورت كان حقيقياً، وإلا لمات ذلك الحب منذ زمن بعيد.

ـ كورت رجل ثري.

ـ كلوديا ليست مهتمة بماله!

ـ قد يكون هذا رأيك... ولكنه ليس رأيي.

ـ لديها مالها الخاص.

ـ وهو لا شيء مقارنة بماله.

وتصاعد لون ماكسين إلى وجهها، كانت تشعر بالغضب فهناك عدة وجوه في شخصية هذا الرجل الذي ستتزوجه... وتساءلت فيما إذا كانت ستواجه عدة مناسبات قد يسبب لها ألماً فيها كما الآن،

www.elromancia.com

بقساوة قسمات وجهه، وحدته... فأرادت أن تكون لوحدها، وأن يذهب نويل قبل أن يتطور هذا الحديث إلى نزاع. فقالت محاولة كتم دموعها:

ـ أنا متعبة، وأظنني سأذهب إلى النوم، إذا كنت لا تمانع.

أجفل نويل، وكتمت ماكسين شهقة خفيفة كادت تخرج من بين شفتيه للتغير المفاجيء الغريب في وجهه... فقد محا الحنان كل قساوة حول شفتيه، وبدت النعومة في عينيه وصوته هو يقول:

ـ حبيبتي... لن نتخاصم لأجل هذه المرأة... ستسافر بعد اسبوع ولن نراها ثانية على الأرجح.

وقطع الغرفة ليحتويها بين ذراعيه ويقول:

ـ لا تبكي يا حبيبتي... لا يجب أن تبكي!

دفء ذراعيه ولطفهما أزالا تعاستها، فابتسمت معتذرة، عندما أخذ يجفف دموعها بمنديله. وقال:

ـ أحبك لقلقك عليها. انسي أمرها يا حبيبتي، واعط كل اهتمامك لحبيبك!

ربما يكون نويل على حق... هذا ما قالته لنفسها وهي تقف صباح اليوم التالي على الشرفة تراقب كلوديا تتقدم نحو المنزل برشاقة الصبا. بدت أكثر سعادة، حتى من بعيد، وهي تقترب لاحظت ماكسين ابتسامة تلوح على فمها. وقالت ببهجة عندما وصلت:

ـ كم من الرائع أن يكون للإنسان مكان يلجأ إليه... كل حياتي كانت تبدو دون هدف. السفر التنزه طوال الوقت... ومع كل هذا عندما أكون لوحدي...

تنهدت ماكسين في سرها. تمنت لو تتصادق معها، أن تساعدها لتخفف عنها وحدتها. لكن نويل قال إنها ستسافر قريباً ومن غير المحتمل أن تتلاقى سبل حياتهما من جديد... لو أن كورت لم

يمرض هكذا... لكن ما فائدة التمني؟

ـ تفضلي بالدخول كلوديا. أتتناولين بعض القهوة؟

قادتها ماكسين، لترتاح على الشرفة، وأشارت إلى كرسي تجلس عليه.

ـ سأحب تناول القليل. هل لديك أخبار عن كورت؟

فأطرقت ماكسين ثم قالت:

ـ اتصلت باكراً وقيل لي إنه تحسن خلال الليل. لكنه لا زال ضعيفاً ولا أمل بخروجه هذا الأسبوع.

وتغير وجه كلوديا:

ـ إذن لن أراه؟ أما زالوا يمنعون عنه الزيارات؟

ـ نعم. لكنني واثقة أنهم سيسمحون لنا بزيارته قريباً. وسأتصل بعد الظهر... اتصلْ نويل قبل أن يتصل بي، واعطو. نفس المعلومات.

ـ لا بد أن الولدان مستاءين لعدم السماح لهما برؤيته؟

ـ أجل. لكن وجودهما في المدرسة سيشغل تفكيرهما خلال النهار. إنهما يبقيان وقت الغداء، لكنهما يعودان في الثالثة والنصف، لذا ستكونين هنا عندما يعودان.

ـ ألا تمانعين في بقائي طوال هذه المدة؟

ـ أنا أتمتع بصحبتك كلوديا.

شربتا القهوة، ثم أخذتا تتمشيان في الحديقة عندما قالت كلوديا:

ـ صديقك... السيد دواستير، لدي انطباع أنه يكرهني...

ـ اوه... لا. لا يجب أن تفكري هكذا.

ـ لدي فكرة أنه يعتبرني أنثى ماكرة، تهتم لمال كورت فقط.

ذهلت ماكسين لهذه الصراحة، وعذرتها عندما تذكرت جهلها بأنها تتكلم إلى زوجة نويل المستقبلية. وكان عليها أن تكذب:

www.elromancia.com

ـ أنت مخطئة كلوديا.

وأدارت رأسها قليلاً كي لا تلاحظ المرأة تعبيرات وجهها، لكنها عرفت أن كلامها ضاع سدى... مع ذلك فقد كانت كلوديا كثيرة اللباقة لأن تتطرق إلى الأمر ثانية. انقلب الحديث إلى ماكسين نفسها، راحت كلوديا تسألها باهتمام حول حياتها في كندا. فزودتها بالمعلومات، ثم بدورها استمعت لما ستقوله عن حياتها:

ـ زوجي تركني مرتاحة مالياً، لكنني لست ثرية. أعيش في شقة وأملك سيارة.

وصمتت لتنحني وتلمس زهرة «اوركاديا» تتدلى من فوق حائط منخفض. أزهارها كانت زهرية اللون براقة، تحولت إلى لون مائل للأصفر تحت اشعة الشمس. وطار من بين أغصان الاوركاديا عصفور صغير، ليبعث الحياة في الصورة. فتابعت كلوديا:

ـ لكن الزمن أحياناً يتوقف، تصبح الحياة مملة... وأحس أن حياتي لا لزوم لها.

استقامت لتتابع بنظرها العصفور وهو يدخل دغلة أزهار أخرى. ونظرت إلى ماكسين جانبياً بعد متابعتهما السير نحو ممر مظلل بأشجار النخيل، يقود إلى بركة السباحة:

ـ أنت محظوظة لحصولك على وظيفة كهذه ماكسين. وأظنني عندما أعود إلى موطني سأفتش عن عمل.

قطبت ماكسين... فالجانب العملي من تفكيرها كان يؤمن بأن من الخسارة أن تتابع كلوديا حياتها لوحدها، ولديها الكثير بعد لتعطيه... إنها تهتم كثيراً بكورت، وستسعده. وتنهدت قاطعة حبل تفكيرها... نويل محق، وهي المخطئة في التدخل بأمور لا تعنيها. يجب أن تتوقف عن التفكير بالأمر... مع ذلك، بعد ساعتين كانت

تشغل تفكيرها بهذا الأمر.

قالت لكلوديا التي اتصلت بها مساء لتعرف ما إذا كان هناك أخبار عن كورت:

ـ سيسمح له باستقبال ثلاثة زوار بعد ظهر الغد. إنه يتحسن طوال الوقت، ويقول الأطباء إنه نوع من التسمم، لكنه تأثر به أكثر من غيره... مرّت عليه بضع ساعات وهو في خطر... كما قيل لنا الآن. واستطيع القول أن هذا ما كنت أحس به، حتى دون أن يقول لي أحد، وكذلك نويل... أتريدين رؤيته؟

ساد صمت طويل ردت بعده متلعثمة:

ـ أنا... اوه... ربما من الأفضل أن لا...

ـ تعالي... فأنا واثقة أنه سيكون مسروراً لرؤيتك.

ـ مضت سبع سنوات منذ آخر لقاء.

ـ سأنتظرك على الغداء وستذهب بعدها إلى المستشفى كلنا.

ـ كلنا؟

ـ سيوصلنا نويل إلى هناك.

حدقت ماكسين بالهاتف لوقت طويل بعد أن وضعت السماعة من يدها، ترتب الجمل في رأسها عما ستقوله لنويل كي لا يغضب. أمسكت السماعة من جديد، لكنها أعادتها مكانها. وكأنها أحرقتها، نويل سيكون غاضباً جداً... فجأة رن جرس الهاتف فكادت تقفز خوفاً. نويل كان المتصل، بعد اتصاله بالمستشفى قبل بضع دقائق.

ـ حاولت الاتصال بك فوراً لكن هاتفك كان مشغولاً... فتصورت أنك تتصلين بالمستشفى؟

ـ أجل... وقيل لي إن كورت يتحسن، وانه قادر على استقبال الزوار غداً... لقد... لقد أخبرت كلوديا أن بإمكانها المجيء معنا.

ساد الصمت... هل أقفل الخط؟ نظرت إلى السماعة في يدها،

www.elromancia.com

لكن لا، فصوته عاد، متصلباً حاداً، وفيه تلك اللكنة الفرنسية بارزة أكثر مما سمعتها منه من قبل.

ـ ماذا قلتِ ماكسين؟

ـ أتمانع في أخذها معنا؟

الرد على سؤالها كان شهيق أنفاس كأنه فحيح أفعى:

ـ قلت لك أن لا تتدخلي في شؤون الآخرين ماكسين! فقد لا يرغب كورت في أن يزعجه غرباء في مثل هذا الوقت. والسيدة اندرهيل لن تأتي معنا... أهذا واضح؟

ـ لكنني وعدتها... لا استطيع أن أخلف بوعدي لهما.

ـ إذن، سأتصل بها أنا! ما رقم هاتفها؟

ردت بسرعة وحزم:

ـ لن أعطيك إياه!

وأدهشها ردها المتهور بقدر ما أدهش نويل، فصاح بحدة:

ـ سأكون عندك بعد ربع ساعة.

وأقفل الخط.

لم تكن ماكسين تفكر بأنها سترى نويل ساخطاً غاضباً كما كان عندما دخل الغرفة حيث تنتظره. نظر إليها نظرة متعالية، وفمه مشدود، حاجباه معقودان معاً. فشحب وجهها وبادرته:

ـ لا يمكن أن أجبر نفسي على القول لها... حاول أن تفهم نويل.

ـ لم يكن من حقك الالتزام بوعد أصلاً. كورت صديق، ولن اسمح أن تؤثر عليه امرأة لعينة باحثة عن الثروة في وقت كهذا! إنه مريض... مريض! ألم تفهمي معنى هذا بعد؟

وتقدم منها وهو يكلمها إلى أن أصبح متلاصقاً بها... ودون

وعي أخذت تشد طرف فستانها وقالت محاولة ابقاء صوتها ثابتاً بالرغم من ارتجافها الداخلي:

ـ ربما ما كان يجب أن أتسرع... لكن فات الأوان لأي شيء الآن. و... بالنسبة لوصفك لها بأنها باحثة عن الثروة، فهذا ليس بالإنصاف أبداً... كلوديا تحبه، مهما ظننت عكس ذلك.

لمعت عيناه، وارتجفت عضلات فمه. فأخفضت ماكسين رأسها. وعيناها مليئتان بالدموع، وفمها يرتجف. ورد عليها بحدة:

ـ إذا كانت تحبه، فلن تتدخل في حياته في وقت كهذا! على كل الأحوال، إنه لا يحبها، فلماذا تحشر نفسها في حياته هكذا بحق الله؟

وبدأت ماكسين بالبكاء:

ـ قد يبدو هذا سخافة منها... لكنك غير قادر على رؤية الأمور من وجهة نظر امرأة...

كانت ستكمل كلامها هذا، لكن رنين الهاتف قاطعها. وقبل أن تتحرك، كان نويل قد وصل إلى الهاتف في ثانيتين لتسمعه يقول بصوت حاد، ولكن هادىء:

ـ سيدة اندرهيل... أجل إنها هنا... لكن هل استطيع أن أفعل لك شيئاً؟

وصلت ماكسين إلى جانبه ورفعت نظرها إليه... وتغير تعبير وجهه، ثم ارتاح، مما جعلها تتنفس الصعداء. وأعطاها السماعة، لكنه بقي إلى جانبها قاصداً أن يسمع ما ستقول.

ـ أنا ماكسين... هل هناك من جديد كلوديا؟

ـ كنت أقول للسيد دواستير إنني غيرت رأيي حول زيارة كورت في الغد. قد يزعجه هذا، بوجود غريبة، لأنني بالفعل غريبة بعد كل هذا الزمن.

وصمتت كلوديا قليلاً، فرفعت ماكسين عينيها المليئتين بالدموع

www.elromancia.com

إلى خطيبها. وأكملت كلوديا:

ـ أظن أن كلانا انجرفنا كثيراً. فأنت كنت تواقة لأن أقابله، وكذلك أنا. لكنني بعد التفكير، وصلت إلى قناعة، بأن هذا ليس الوقت المناسب لي لزيارته. فهو يريد اصدقاءه حوله، وولديه.

اجتاح الارتياح نفس ماكسين لحظة بدأت كلوديا تتكلم... لكنها سألتها متى ستأتي لزيارتها في المنزل. وذكرتها:

ـ ستأتين إلى الغداء، ولا شيء يمنعك... بعدها إما أن تبقي في الانتظار هنا إلى حين عودتنا أو العودة إلى الفندق.

ـ لطف منك ماكسين... لكنني مضطرة للرفض. فقد قررت أن أقوم بجولة للتفرج على مناظر الجزيرة، فأنا سأغادرها عما قريب وأريد رؤية كل شيء... فربما لن تتاح لي فرصة رحلة أخرى للعودة إلى هنا.

ـ لكن...

ـ لقد كنت طيبة لطيفة معي... وأنا أشكرك.

ـ كلوديا... لحظة... لقد أقفلت الخط!

أخذ نويل السماعة من يدها ليعيدها مكانها... فأكملت:

ـ إنها وحيدة جداً... أنت لا تفهم...

ـ أنا آسف حبيبتي... أدرك الآن أنني اسأت الحكم عليها.

لكن لهجته الناعمة لم تفعل شيئاً لازالة بؤسها... فقد أحست أنها هي... وهي وحدها... سبب تعاسة كلوديا الآن. فنظرت إلى عينيه وقالت:

ـ لقد كنت محقاً نويل... ليس بحكمك عليها بل باعتباري مخطئة بتدخلي بهذا الأمر. ولقد اخطأت فقط بأنني أحييت الأمل في نفسها... تستطيع فهم هذا. أليس كذلك؟

ـ أجل يا حبيبتي.

اندفعت الدموع تتساقط من عينيها، فاحتواها نويل بين ذراعيه:

ـ لا شيء استطيعه قد يساعدها! استطيع رؤيتها وهي جالسة في الفندق، لوحدها، تتساءل كيف ستمضي الوقت، ومن المؤكد أنها تتمنى لو أنها لم تحضر إلى هنا. لماذا... لماذا... لن تحضر إلى هنا في الغد؟ لماذا؟

واختنق صوتها بالدموع. فاشتدت ذراعاه حولها:

ـ حبيبتي...

أحست باهتمامه الحنون بتعاستها، وبكت. كل ما تستطيع التفكير به هو تلك المرأة الوحيدة الجالسة في غرفة الفندق، تفكر بما كان سيحدث:

ـ لو استطيع فقط أن أقنعها بالمجيء... كي لا تكون وحيدة... أتظن أن الأفضل أن أتصل بها؟

داعبت شفتاه خدها الشاحب. وسألها بلطف:

ـ أتحبين أن أتصل بها أنا حبيبتي؟

ـ أتفعل؟ اوه يا حبيبي... أتفعل حقاً؟

ـ سأفعل ماكسين... دعيني أولاً أحضر لك شراباً ينعشك.

بعد إحضار الشراب لها جلست بين وسائد الأريكة الكبيرة. تركها ليتصل بكلوديا... وطرحت السؤال مقطوعة الأنفاس حال عودته إلى الغرفة.

ـ هل هي قادمة؟

ـ لم تقتنع في البداية... لكنني أقنعتها.

بدا متجهم الوجه بالرغم من رقة صوته... وأكمل:

ـ أنا آسف جداً عزيزتي... سامحيني لغضبي. كنت أفكر بكورت فقط. لكن هذا ليس بالعذر لي كي أسبب الألم لك. قولي إنك تسامحيني يا حبيبتي الصغيرة.

www.elromancia.com

لم تهتم مطلقاً لتواضعه، فهذا لا يناسبه إطلاقاً، ولا يناسب كبرياءه المتوارثة. فسارعت للقول:

ـ ليس هناك شيء كي اسامحك عليه. كنت مخطئة في محاولتي الجمع بينهما، فكما قلت، كورت لا يحبها.

ـ بل هناك شيء أطلب السماح منك عليه... لقد كنت قاسياً ظالماً... وكان من حقك أن تتخلي عني...

حدقت به مذهولة وقاطعته:

ـ أتخلى عنك... لن أتمكن من فعل هذا، مهما فعلت لي...

لاحظت أنه لا زال متجهماً وعرفت أنه يهتم بمسامحتها له فهمست:

ـ أسامحك يا أحب الناس... إذا كنت تود سماعها مني.

فضمها إليه، وتعرفت حينها إلى رقته الخالية من السيطرة، وملامسات يديه الناعمة التي أخذت تبعد عنها تعاستها. أبعدها أخيراً عنه وهز رأسه وكأن هناك شيئاً لا يصدقه... ثم قال بصوت أجش:

ـ قلبك رقيق جداً ماكسين... وأنا لم أعتد على نساء قلوبهن رقيقة. ولقد اكتشفت بك كنزاً.

نظرت إليه بسرعة تفكر بالنساء اللواتي سببن له الألم. هناك الفتاة الصغيرة التي سرقت منه حنان أبيه، وسببت الألم له ولأمه التي أحبها كثيراً. ثم هناك تلك الفتاة التي جرحت كرامته بتفضيلها عليه رجلاً آخر يملك مالاً أكثر منه. وهناك المرأة المسؤولة عن مقتل شقيقته. فلا عجب إذن أن تظهر القساوة عليه بين حين وآخر، مما يسبب الأذى للآخرين ويندم عليه فيما بعد... وأخيراً فكرت بكارولا... التي تعرفها جيداً، بينما الأخريات لا تعرفهن مطلقاً. كارولا كانت مرتزقة، وكان يعرف هذا، وهذا هو سبب قيامه بتلك

اللعبة معها... أجل... لا عجب مطلقاً أن يكون قاسياً دون لطف من حين إلى آخر.

مرت عشرة أيام عاد بعدها كورت إلى منزله. شاحباً، وأكثر نحولاً، ما عدا هذا لم يغير مرضه فيه شيئاً، لكن كان يجب كبح الولدين عنه، فهما لسرورهما بعودته سالماً، رفضا اعطاءه قليلاً من الراحة، كانا يرغبان في أن يشاركهما السباحة، ولعب التنس، وأن يأخذهما في نزهة بالسيارة وبما أنه يحتاج إلى الراحة لمدة شهر فقد تولى نويل وماكسين مسؤولية الترفيه عن الولدين. وغالباً ما كانت نزهاتهم على الشواطىء المغطاة بالنخيل حيث يلعب الجميع ويسبح، أو يتشمسون تحت أشعة الشمس الحارة. كلوديا كانت قد غادرت الجزيرة دون رؤية كورت. لكن في أحد الأيام، وبانتظار وصول نويل، ذكرتها كولين أمام أبيها. فقطب بارتباك ونظر إلى ماكسين متسائلاً:

ـ السيدة اندرهيل... أيتكلمان عن كلوديا اندرهيل؟ أكانت هنا؟

ـ كانت في إجازة والتقيتها مع نويل أولاً في الفندق حيث كنا نتناول الغداء. وقالت إنها تود رؤيتك من جديد. لم تكن تعرف أن زوجتك ماتت. وذهلت عندما أخبرها نويل.

ـ يجب أن تذهل فزوجتي كانت صغيرة جداً... إذن جاءت كلوديا إلى هنا لرؤيتي؟

ـ أجل... وحزنت جداً عندما علمت أنك في المستشفى. بدت لي وحيدة، فدعوتها للغداء هنا عدة مرات. مرة أو مرتين بقيت إلى ما بعد العشاء. ولم اعتقد أنك ستمانع كورت؟

ـ بالطبع لن أمانع!

ساد صمت قصير قطعه كورت:

ـ كنت أود رؤيتها... لا بد أن سبع سنوات أو ثمانية مرت منذ

www.elromancia.com

آخر مرة رأيتها فيها. كانت في إجازة، وزارتنا، بعد أن عرفت أنني استقريت هنا. وكانت زوجتي لا تزال معي في ذلك الوقت.

ـ قررت عدم زيارتك في المستشفى، لأنها أحست أنك قد لا تريد من غريبة أن تزعجك... أحست بنفسها غريبة، بعد غيابها عنك زمناً طويلاً. نويل كان له نفس الرأي.

فأطرق كورت:

ـ لا أظن أنني كنت سأحسن استقبالها هناك فقد كنت مرهقاً... لكنني كنت سأرغب في رؤيتها بعد عودتي إلى المنزل.

ـ كانت قد سافرت. فهي كانت هنا في رحلة سياحية.

وصمت كورت. تعابير وجهه غير مفهومة، لكنه بدا ضائعاً في أفكاره... أم أنه كان يستغرق في الذكريات؟ سارعت ماكسين للقول:

ـ إنها لا زالت امرأة فاتنة جداً. لقد أحببنا بعضنا فوراً. وكنت آسفة لسفرها...

بقي كورت على صمته فأضافت:

ـ لا زلنا نتصل ببعضنا.

ثم صمتت. من الواضح أنه لم يكن يوماً يهتم بهذه المرأة التي بقي حبها مجهولاً.

صاحت كولين:

ـ اوه... هذا عمي نويل!

على الفور قفز الولدان يتسابقان نحو السيارة وهي تتوقف عند زاوية البيت.

ـ أين سنذهب اليوم؟... اوه... لديك سلة طعام في السيارة! أيمكن أن نذهب إلى بستان جوز الهند ونسبح ثم نتناول الطعام على الرمال؟

فقطب نويل:

ـ هذه فكرتي أنا كولين. اذهبي ونظفي فمك من الشوكولا.

رفعت يدها لتلمس الشوكولا لكنه صفعها عليها بلطف وحزم:

ـ قلت نظفيها وليس امسحيها بيدك!

ـ حسناً... لكن لا تذهب وتتركني...

تفحص نويل وجه كورت الشاحب:

ـ كيف حالك اليوم كورت؟

ـ أتحسن طوال الوقت. شكراً لك نويل. بدأت استعيد نفسي. وأعتقد أن صداقتكما كانت مفيدة لي. فلست قلقاً على الولدين والفضل في هذا بالتأكيد لك ولماكسين.

فلوحت ماكسين بيدها محتجة:

ـ أنا أقوم بعملي لقاء أجر تدفعه لي كورت.

ـ بل أكثر يا عزيزتي... كان يوم سعدي يوم التقيتك على السفينة.

صمت لينقل نظره منها إلى نويل باحثاً عن كلام مناسب:

ـ يجب أن أقول إنني قبل سفري، كان لدي فكرة بأنكما... قد تتفقان. وفي المستشفى بدأت أفكر بإمكانية خسارتي لك. على كل تبين لي أنكما مجرد صديقين حميمين... وأنا أناني لدرجة أن يسرني هذا الأمر.

أخذ يراقب ابنته بعطف وهي تركض نحوهم، ففاته ملاحظة النظرة الغريبة التي تبادلها ماكسين ونويل... تقطيبة من نويل، ونظرة اكتئاب من ماكسين، التي أحست بالحزن فجأة وفقدت حماسها للخروج.

قال لها نويل بعد ساعة وهما يجلسان فوق رمال الشاطىء يراقبان الولدين على حافة المياه:

www.elromancia.com

ـ سنمهله شهراً بعد... ثم يجب أن نقول له... لن استطيع الانتظار أكثر.

والتفت ذراعاه حول كتفيها، فضغطت نفسها عليه، تشعر بخوف غريب يتملكها... شهر... قد يحدث الكثير خلال شهر.

●●●

٨ ـ اللحظات الهاربة

شعور غريب اجتاح ماكسين جعلها غير واثقة بالمستقبل... حتى مع استمرار نويل في ذكر حماسته للزواج! إنه صادق، يعتمد عليه، ويحبها بنفس العمق والقوة اللذين تبادله إياهما... وهذا مما لا شك فيه بالنسبة إليها... لماذا إذن هذا الهاجس، بأن شيئاً ما قد يمنع اتحادهما؟

هذا الهاجس بدأ ينمو مع مرور الأيام، بحيث أصبح من الصعب عليها اخفاء حزنها وكآبتها عن نويل. فإنه سيلاحظ دون شك شحوبها ويسألها عن السبب. وستقول له:

ـ لا شيء حبيبي.

ثم تبتسم لتمحو عبوسه عن وجهه.

لكن، في يوم من الأيام، ومع تزايد حزنها تغذيه معلومات مفادها أن آل اوستند قادمون إلى الجزيرة وسيقيمون عنده... لم تستطع كبح مخاوفها... وقالت في رد على سؤاله:

ـ أحياناً يتملكني خوف رهيب أننا لن نتزوج.

ـ لن...؟ يا طفلتي السخيفة! ليس في الدنيا أي شيء يمنعنا من الزواج.

هذه الكلمات الجميلة الرقيقة كانت مطمئنة جداً لها. وللحظة من اللحظات النادرة نسيت مخاوفها وتقدمت منه حيث يقف في جزء معزول من الحديقة، التي كانا يتمشيان فيها. كان يحدثها عن الزهور،

www.ebromancia.com

ويقول إن عليها إضافة أزهارها الخاصة إلى الحديقة متى أصبحت سيدة المنزل. فتح ذراعيه بترحاب، لتندس بينهما وترفع له رأسه. وقال لها بحنان ورقة:

ـ ألم أقل لك على الدوام إنني مفتون بك؟ ألم أخبرك بأنني أكره الانتظار؟

أطرقت برأسها متذكرة نفاد صبره في العديد من المناسبات... لكن كيف تشرح له أن الانتظار ليس هو المسؤول عن مشاعرها؟ ليس لديها أي تفسير... ولا أساس لمخاوفها التي تستمر في القول لنفسها إنها مخاوف لا أساس لها...

همست له ورأسها على خده:

ـ أحبك كثيراً.

راحت انفاسه تداعب وجهها، من نظرات الحب في عينيه أخذت ترتجف وتابعت:

ـ أنا سخيفة... كما قلت... وأعدك بأنني لن أخاف بعد الآن.

ـ يجب أن أكون أكثر صراحة معك، ويجب أن أشد أذنيك عندما لا تحسنين التصرف كما أريد!

فأطرقت خجلاً، وقالت واعدة:

ـ سأحسن التصرف... وسأفعل كل ما تريد.

فاتسعت عيناه، وتغضنت خطوط فمه، والتوت شفتاه:

ـ كل شيء؟ هذا ما أدعوه عرض مغرٍ جداً...

فضحكت:

ـ نويل... أنت لا يمكن المزاح معك!

ـ هذا أفضل... حافظي على بريق الفرح في هاتين العينين الجميلتين... ودائماً!

أعطته ماكسين وعداً. وتمكنت بالفعل لأيام قليلة من رمي مخاوفها

خلف ظهرها، لتبدو عروساً سعيدة... فبعد قليل سترتدي خاتم الخطبة الجميل الذي اشتراه لها. وما إن يعلم كورت بالأمر ويبدأ بالبحث عن مربية جديدة، حتى يتم الترتيب لمراسم الزواج.

في هذه الأثناء... ودون علمها دعا كورت نويل وآل اوستند للعشاء. ومع أن نويل كان مصمماً أن لا يكون أكثر من متأدب مع كارولا، إلا أن ماكسين لاحظت أن الفتاة تتصرف معه بشكل متملك فكيف تتصرف إذن وهي في بيته؟ وأحست بآلام الغيرة. لقد مضى على وجود الفتاة ووالديها حتى الآن اسبوع ولم تستطع ماكسين سوى الافتراض أن تصرفه الحالي الموحي بعدم الاكتراث بكارولا، سببه احترام مشاعر خطيبته، وأنه لا يرغب مطلقاً في التصرف بطريقة تغضبها... لكن هل هو أكثر وداً مع كارولا في منزله؟ يبدو أنهما هكذا. وإلا لما تصرفت الفتاة بهذه الألفة معه.

كانت تجلس قربه وماكسين قبالته، واستطاعت رؤية الفتاة وهي تطيل النظر إليه والتحديق به طوال الوقت. ضحكت له كثيراً وكان يبادلها الضحك. همست له وهز لها برأسه... وكانت ماكسين تشاهد ما يحصل وتضطر للسكوت.

قالت كارولا بغنج لمضيفها:

ـ أود قطعة دجاج أخرى كورت... اوه... انظر نويل كيف تجهم وجهه رافضاً.

لكن ماكسين لم تلاحظ أي تجهم على وجه خطيبها بل الواقع إنما يبدو عليه السأم... وأكملت الفتاة بميوعة:

ـ إنه دائماً يوبخني على تناولي طعاماً كثيراً. لكنني لا استطيع الامتناع حبيبي، خاصة وأنا في الواحدة والعشرين من عمري. عندما أصبح في الثلاثين عندها أبدأ بتوخي الحذر.

ونظرت إلى ماكسين بوقاحة قبل أن تضحك وتستدير إلى نويل

www.ebramancia.com

متوقعة منه أن يضحك كذلك.

رفعت ماكسين منديل لتمسح فمها، مخفضة رأسها في نفس الوقت. لا تظن أن أحداً قد لاحظ التعليق الساخر اللاذع، لأنها لم «تقارب الثلاثين» من عمرها بعد... لكن كارولا كانت تعرف عمرها لأنها ذكرته مرة أمامها خلال حديثها مع كورت وهكذا فهي تحاول أن تفهم نويل بأنها أصغر سناً من ماكسين. عندما رفعت رأسها ثانية، التقت نظراتها بنظرات نويل فارتجفت شفتاها بالرغم من محاولتها الابتسام... فرد الابتسامة وهو يهز رأسه مستاءً من إدراكه بأنها تأثرت لتصرفات الفتاة نحوه وكأنه يود أن يفهمها حقيقة ما يحدث دون أن يكون فظاً مع ابنة شريكه في العمل. لكن ماكسين من البشر. وتحب، وهي تغار كبقية البشر... والغيرة تولد الغضب الذي بدا على تعبيرات وجهها والذي بدوره جلب العبوس لخطيبها. فأطرقت تنظر إلى طبقها، رفعت رأسها ثانية، لترسل إليه نظرة إلا أنها سمعته يقول بلهجة التسامح التي قدّر أن يستخدمها مع الفتاة:

ـ كارولا... هل أمرر لك الخبز؟

ـ شكراً لك عزيزي نويل. اوه كم أحب الخبز المحمص ألا يعجبك؟

يا لها من مخلوقة حمقاء! وتمنت ماكسين لو تجد عذراً لتترك المائدة. لكن كورت قال لها بصوته المرح:

ـ ماكسين أنت لا تأكلين كثيراً. ماذا أعطيك؟

ـ بعض الدجاج... أرجوك.

تناولت بعضاً من الدجاج من الطبق الكبير، دون أن تنظر إلى نويل. وبدا لها أن غضبه يزداد، لأنها سمعت تنفسه الحاد العميق بعد لحظات. وهو يصدر صوتاً لا ضرورة له من سكينته وشوكته.

فرفعت نظرها لتجد أن السيدة اوستند كانت تبتسم لابنتها ونويل،

وزوجها يتحدث إلى كورت... فأحست بالوحدة، وكرهت الطعام، وتمنت لو أنها لم تطلبه... لم تتوقع مطلقاً أن تشعر بالتعاسة خلال هذه الوجبة بهذا الشكل. تنهدت بارتياح عندما وقف الجميع أخيراً، ليخرجوا إلى الشرفة المضاءة بنور القمر، حيث سيتناولون القهوة.

ـ خذني لتتمشى في الحديقة نويل... أرجوك...

دست كارولا يدها في ذراعه وأضافت:

ـ أموت حباً بحديقة استوائية ينيرها القمر! ينير زهورها... مع أنها لا تلمع كما هي في نور الشمس، والليلة الهواء دافىء و... يُشعر بالدوار!

فرد كورت معلقاً بمرح:

ـ لكن الهواء بارد، وليس دافئاً. والليل لن يكون مريحاً لولا هذا الهواء... فالطقس كان حاراً جداً اليوم.

فهزت كارولا كتفيها بأناقة:

ـ حار أم بارد... ماذا يهم؟ أريد أن أتمشى... ألن تأتي معي نويل؟

ـ فيما بعد كارولا.

هذا كان يجب أن يجعل ماكسين في مزاج أفضل، لكنه للغرابة لم يفعل... فهي، لم تستطع أن تجد عذراً لنويل بإبقاء يد كارولا في ذراعه وبهذه العفوية الحميمة. ومن وجهة أخرى فهي تعتبر أن على نويل أن يعتني بها قليلاً حتى لو كانت خطيبتهما سرية، إذ أن هذا الأمر لن يثير الريبة. غضبها الذي كان ظاهراً على المائدة أثار غضبه، لكن لن تتسامح أبداً تجاه طريقة تعامله مع كارولا. ولا تريد أن تعترف بينها وبين نفسها بأن تصرفه طبيعي.

البرود المفاجىء الذي سيطر على وداعه وهذا الوداع الرسمي أثار في نفسها إحساساً بالصدمة لم تستطع أن تحتمله. لقد اعتقد بأنها تتعمد

www.elromancia.com

التعالي عليه. وكي يتضاعف بؤسها جلست كارولا إلى جانبه في السيارة وأطلقت كلماتها قبل أن تنطلق السيارة:

ـ نزهتنا حبيبي... هل نسيت؟ لم يتأخر الوقت بعد...

لم يعد نويل للظهور لمدة يومين كاملين، ولا اتصل هاتفياً... ووقفت ماكسين قرب الطاولة التي تحمل الهاتف، اصابعها ضائعة في ثنايا شعرها يبلل العرق يديها من شدة التوتر والارتباك... كم كانت مخاوفها صائبة... لم تعد تتصور موعد زفافها ولا بأية طريقة. لقد فقدته، كورت هذا لنفسها مرات ومرات حتى وهي تختلق الاعذار لعدم اتصاله... إنها الآن الساعة الثامنة، عادة يتعشى في مثل هذا الوقت. ثم بعد أن يجلس ضيوفه لتناول القهوة قد يتركهم كي يتحدث معها ويعتذر لها عن الألم الذي سببه لها. كل ما اعتبرته الفة بينه وبين كارولا ما هو إلا تصورات عاشقة غيورة. وسترضى، وتعترف له أنها لم تكن متعقلة في غضبها وغيرتها، وتأمل أن يسامحها. وسيعدها عندها أنه سيخرج باكراً في الغد وأن علاقتهما ستعود إلى سابق عهدها.

لكن جرس الهاتف بقي صامتاً... وفي التاسعة والنصف قطعت ماكسين الأمل. وسألها كورت قلقاً وهو يخرج إليها حيث جلست في الحديقة:

ـ ما الأمر؟ ما بك؟

كان مع ولديه يتحدث معهما بعد أن استحما ووضعتهما ماكسين في الفراش. وها قد انضم إليها وهي تقف عند طرف الحديقة تحدق في الفراغ:

ـ لم تكوني كما عهدتك طيلة هذا النهار. ما الأمر الذي يربكك؟

استدارت نحوه لتلاحظ قسمات وجهه المتجهمة، لقد تحسنت صحته الآن. وابتسامته الناعمة الهادئة أضفت نعومة إلى عينيه، مع أن جبينه مقطب. فأجابت:

ـ لا أشعر بأنني على ما يرام كورت.

ولخيبة أملها انفجرت بالبكاء... فالتفت ذراعاه حولها:

ـ ماكسين... يا طفلتي العزيزة...

ثم تراجع عنها لسماعه وقع أقدام، واستدار ليجد كارولا ووالديها يتقدمان نحوهما.

ـ أرجو أن لا نكون قد قاطعنا أمراً مهماً؟

صوت كارولا الناعم كان يحمل لهجة فضول وهي تجيل النظر بين ماكسين التي أشاحت بوجهها، وبين كورت الذي ابتسم وتقدم إلى حيث وقف والداها واللذان يوجهان إليهما نظرات متسائلة:

ـ أرجو أن لا نكون قد وصلنا في وقت غير مرحب بنا فيه... كورت...

ـ بالطبع لا... تفضلوا لتتناول شراباً معاً.

ـ كما لا بد تعرف، اضطر نويل للسفر صباح الأمس، وتناولنا العشاء باكراً، ففكرنا أن نتمشى لنسهر معك.

فاستدارت ماكسين بسرعة بعد أن جففت عينيها:

ـ نويل اضطر إلى السفر؟

فأجاب كورت:

ـ لقد اتصل بالأمس باكراً ليقول لي...

فقاطعته مقطوعة الأنفاس:

ـ لم تذكر لي هذا... لم أكن أعرف.

نظرت إليها كارولا بعجرفة:

ـ وهل هناك سبب خاص يدعوك لأن تعرفي؟

اعتذار كورت لعدم ذكر الأمر لها أنقذ ماكسين من مواجهة شرسة بينها وبين كارولا. وقال:

ـ لم أعتقد أن الأمر مهم. قال إن لديه عمل عاجل في نيويورك، بعد اتصال تلقاه من وكيل أعماله.

www.elromancia.com

وهكذا صرف النظر عن موضوع غياب نويل دون أن يدري بالراحة التي سببها لماكسين... وتوجه كورت نحو المنزل يرافقه الوالدان، بينما بقيت كارولا واقفة خلف ماكسين التي كانت تود اللحاق بالباقين إلى المنزل لولا أن الأدب دعاها للبقاء مع كارولا. وما إن ابتعد الجميع حتى قالت كارولا:

ـ لم أكن أعرف أنك وكورت تحبان بعضكما بهذا الشكل؟

فرد ماكسين بقسوة:

ـ نحن لا نحب بعضنا.

ـ لا؟

كانت كارولا تقف في ظل شجر النخيل، وأكملت:

ـ تسمحين للرجال بمغازلتك وأنت لا تحبينهم؟ اوه... أعلم أن هذا أمر رائج هذه الأيام... لكنني لن أتمكن أن أفعل شيئاً من هذا قبل الزواج.

ساد الصمت... صمت غريب خطير. ولم تعرف ماكسين ما الذي منعها من صفع هذه الفتاة. لكنها قالت لها وهي ترتجف غضباً:

ـ هل أنت وقحة دائماً في كلامك آنسة اوستند؟

شهقت كارولا دهشة، وبدت مذهولة:

ـ وماذا قلت آنسة مارتن؟ أنت كنت بين ذراعيه، وكان يقول لك «يا عزيزتي» فمن الطبيعي أن أعتقد...

فصاحت بها ماكسين:

ـ ما قاله حقاً كان «يا ابنتي العزيزة».

فأكملت كارولا متجاهلة تعليقها:

ـ من الطبيعي أن أظن أن شيئاً ما يدور بينكما.

أخذت ماكسين تهتز من الغضب. وقررت الانسحاب قبل أن يفلت غضبها من يدها، ويتعدى الحدود. فتوجهت إلى المنزل بسرعة لتصل

قبل أن يصل الآخرون، وصعدت فوراً إلى غرفتها، كي تهدأ... وسرعان ما تحولت أفكارها من الفتاة الوقحة في الأسفل إلى نويل، فارتفعت معنوياتها. لقد اتصل... ربما على أمل أن ترد هي، فكورت عادة لا يصحو قبل ذهاب الولدين إلى المدرسة. لكنه بالأمس استيقظ باكراً على غير عادته ورد على اتصاله بينما كانت هي تحضرهما للخروج... وكم سيتكدر عندما تخبره عما مر بها في هذين اليومين من بؤس... لكنها بعد تفكير قررت أن لا تخبره، فلا داعي لازعاجه.

تقدمت إلى المرآة لتأخذ المشط، وبدأت ترتب خصلات شعرها القصيرة الملتوية، بعدما تلاعب بها الهواء في الخارج... وتطلعت إلى صورتها في المرآة. لقد أصبحت عيناها أكثر صفاء وقد زال أثر الدوائر السوداء حولهما التي سببتها الشكوك حول غياب خطيبها. كم سيغيب يا ترى؟ لو أنه سيغيب أكثر من أيام قليلة فسيكتب لهم. التفكير بالرسائل ذكرها برسالة تلقتها من السيدة اندرهيل ذلك اليوم، ففتحت درج طاولة الزينة لتخرجها وتقرأ أول صفحة وجزءاً من الثانية.

«كيف حال كورت الآن؟ لقد سررت جداً لأنني قرأت في رسالتك أنه يتحسن طوال الوقت. إنني أفكر به كثيراً هذه الأيام... أكثر بكثير مما كنت أفكر به حين كانت زوجته لا تزال على قيد الحياة. فالأمر يومها كان يؤلمني... لم أكن على علم بانفصالهما، وكنت أتجنب التفكير به لأنني لن أتمكن من فصله عن زوجته... كنت أتمنى لو التقيه ثانية لرؤيته، بعد سبع سنوات. ربما استطيع تدبر أمر رحلة أخرى يوماً ما. قلت في رسالتك إنه يعرف الآن أنني كنت في منزله. ابلغيه سلامي ماكسين... أرجوك... أما بالنسبة لي فشكراً لك... وليباركك الله».

ببطء أعادت الرسالة إلى الدرج والسعادة تطل من عينيها كما كانت عندما قرأت الرسالة لأول مرة. وكما طلبت كلوديا مررت ماكسين

www.elromancia.com

لكورت التحية. لكنه لم يعلق بأكثر من أن هذا لطف منها.

بتنهيدة عميقة غادرت غرفتها لتنضم إلى الآخرين. عند دخولها غرفة الاستقبال تلاقت نظراتها مع نظرات كورت القلقة. فابتسمت له مطمئنة، لتفهمه أنها قد أصبحت بخير. ومن السيد والسيدة اوستند تلقت نظرات غريبة. بينما بدت نظرات كارولا نظرات انتصار... انتصار؟... وهزت كتفيها... تصرف عنها الفكرة دون اكتراث، فهي مهتمة أكثر بمعرفة متى سيعود نويل من رحلته.

رمت السؤال بعفوية للسيد اوستند بصوت هادىء، بينما كانت كارولا وأمها تتحدثان إلى كورت. لكن اذنا كارولا التقطتا السؤال، فأدارت رأسها، قد ضاقت عيناها... لكنها لم تعلق بشيء عندما رد والدها على سؤال ماكسين، التي كانت واثقة تماماً بأنها لو كانت وحدها مع كارولا لاستفسرت هذه الفتاة عن سبب اهتمامها بالأمر... كم هي قوية الصدمة التي ستتلقاها عندما تعلن الخطوبة... وعرفت أنها ستتمتع بمراقبة خيبة أملها.

عندما غادرت كارولا ووالديها، عاد كورت إلى موضوع بكاء ماكسين فقالت تحاول أن تضحك لتخفي تأثرها:

ـ كنت أشعر بتوعك واكتئاب. الأمر غباء مني، وأنا بخير تماماً الآن.

ـ أمتأكدة أنت؟ لست من النوع الذي يبكي من أجل لا شيء ماكسين!

ـ أظن أن بعض الأفكار هي السبب.

قطب وتراجع في مقعده ليتأملها بعينيه اللطيفتين:

ـ أفكار؟ عن أخيك؟

ـ حسناً... ليس بالضبط.

تأكد لكورت من ترددها أن هذا هو سبب اكتئابها. فقال:

ـ فلنخرج قليلاً معاً. تعالي ارتدي ثياباً جميلة وسنذهب لنرقص!

ـ الوقت متأخر...

ـ ليس كثيراً. هيا، ارتدي ذلك الثوب الحلم الذي ارتديته يوم دعانا نويل للسهر.

ـ حقاً كورت...

ـ دون جدال!

ـ قد يستفيق أحد الولدين.

ـ وإن يكن... لدينا خدم كثيرون... وسأكلف رونزا بالسهر عليهما. هيا اذهبي وجهزي نفسك.

ـ يجب أن ترتاح.

ـ ارتحت بما فيه الكفاية وسوف يفيدني أن أخرج قليلاً.

أخذها كورت إلى جزيرة صغيرة قريبة بالقارب حيث رقصا في ملهاها الليلي على أنغام فرقة موسيقية نحاسية. ثم جلسا يحتسيان عصير الفاكهة الاستوائية ويراقبان راقصات «الليمبو» برقصهن المشهور.

سألها وهما عائدان:

ـ حسناً ماكسين هل أبعدت هذه السهرة عنك الأفكار؟

فردت عليه وهي تفكر بكلوديا فجأة:

ـ أنت لطيف جداً كورت... لطيف فوق الحدود.

هز كتفيه، فتساءلت عما إذا كان يفكر بزوجته، ويتذكر أنها لم تكن تعتبره لطيفاً... أو، لو أنها فعلت، فلم تكن ترغب في أن تتلقى هذا اللطف. وسمعته يتنهد ويقول:

ـ رائع منك أن تقولي هذا يا عزيزتي.

ـ أتشعر... عادة... بالوحدة كورت؟

سؤالها كان متسرعاً، لكنها لاحظت أنه لم يزعجه:

ـ رجل يعيش وحده يشعر بالوحدة. كنت أحس بالكآبة عندما كان

www.elromancia.com

الولدان مع أمهما. وكنت أزور شقيقتي من وقت لآخر، وكانت تزورني، لكن ما عداها، كنت أحس أن لا أحد يهتم بي.

هزت رأسها متفهمة... صامتة للحظات ثم سألت:

ـ ألم تفكر بالزواج مرة أخرى؟

ـ لم يمض زمن طويل على وفاة زوجتي بعد.

ـ لكنكما كنتما منفصلان... ألم ترغب أبداً في الطلاق...؟

صمتت قليلاً ثم قالت معتذرة:

ـ آسفة... ما كان يجب أن أطرح مثل هذا السؤال... قل لي أن لا أتدخل فيما لا يعنيني كورت.

فابتسم:

ـ أقدّر لك اهتمامك، فلماذا أقول لك أن لا تتدخلي في شؤوني؟ لا... ماكسين... لم أفكر مطلقاً بالطلاق... مع أنني اقتنعت منذ زمن بعيد أن لا أمل في أن نعود لبعضنا.

ـ هل تتزوج الآن... لو التقيت بامرأة طيبة؟

أدار رأسه لينظر إليها بشكل غريب. تعبير وجهه انكشف لها في ضوء داخل السيارة الخفيف، فقطبت محتارة، لكنه أجاب:

ـ لأجل الصحبة تعنين؟ أنا مكتف هكذا يا عزيزتي.

كلماته زادت من حيرتها، إنه في الواحدة والخمسين فقط، وهذا سن صغير نسبياً، لرجل. وردت عليه بلطف:

ـ أنا لا أعتبرك كبيراً في السن كورت.

ـ صحيح؟ أتعنين هذا حقاً ماكسين؟

ـ بكل تأكيد. عدد السنين لا يهم، ما يهم كيف تبدو وكيف تشعر... وأنت تبدو شاباً.

ـ صحيح إنني لا أشعر بانني كبير في السن. وسأفكر بالأمر يا عزيزتي. أجل... بكل تأكيد سأفكر بالأمر.

فسألته بلهفة:

ـ حول الزواج ثانية؟

وأخذت أفكارها تصور لها كلوديا وهي عروس. ولدهشتها قطب كورت للهفتها. وبدا لها أنه ذهل لتأكيدها على السؤال ثم أجاب بعد طول صمت:

ـ أجل ماكسين... سأفكر بالزواج ثانية.

ثم غيّر الموضوع على الفور. ولم تعد تجد فرصة أخرى لتقول له عن كلوديا، وكم هي جذابة، وكم أحبها الولدان.

لدى وصولهما إلى المنزل كانت رونزا لا تزال صاحية، لكن على وشك الذهاب للنوم. فنظرا إليها متسائلين فأجابت:

ـ أصيب مورغان بألم في أسنانه. وكان ألمه فظيعاً، المسكين، فأنزلته إلى هنا ووضعت له البهار على ضرسه المتألم...

فصاح الاثنان معاً:

ـ بهار؟

ـ إنه دواء قديم... صحيح أنه صاح من شدة الألم لكن الحرارة شفته.

فشهقت ماكسين:

ـ لا يمكن؟

ـ بلى... لقد شفته... لكنه بقي صاحياً، فاضطررت للسهر معه، وتفرجنا على الصور. ونسيت أن أعيد الكتاب مكانه. لكنني سأعيده قبل أن أنام. إنه الكتاب الذي أهداه لهم السيد دواستير مرة، وفيه كل تلك الصور الجميلة عن الجنيات والأزهار والحيوانات... إنه كتاب قصاصات صنعته أخته، كما قال لي. وقال لي كذلك إنه يجب العناية به.

طلب كورت منها الذهاب إلى النوم لرؤيته شدة نعاسها.

ـ سأعيد الكتاب إلى مكانه بنفسي. تصبحين على خير رونزا.

www.elromancia.com

وشكراً لك لعنايتك بمورغان.

- لا بأس سيد دايفرز... وتذكر، إذا آلمتك أسنانك فاستخدم الكثير من البهار!

فهمست ماكسين وهي تلاحق رونزا التي تصعد السلم:

- بهار؟ مسكين مورغان!

فضحك كورت:

- لقد نجا من الألم، وهذا واضح... لدى رونزا أغرب أنواع الأدوية، على الاعتراف أنها تنجح تسع مرات من عشرة.

- سآخذه إلى طبيب الأسنان في الصباح. لا يمكن أن أتركه يتألم.

وقف كورت قرب الأريكة والتقط الكتاب، بينما وقفت ماكسين عند الباب دون أن تدخل. فرفع رأسه إليها:

- أتذهبين إلى الفراش؟

- لا أحس بالنعاس، ولست تعبة.

ودخلت الغرفة.

- فلتتناول شراباً بارداً إذن.

وصبه من إبريق جلبه من المطبخ، بينما جلست ماكسين على الأريكة، لتلتقط الكتاب الذي كان بيد كورت... أخذت تقلب الصفحات تفكر بالفتاة الصغيرة التي رتبته بنظام رائع... وجلس كورت إلى جانبها وجذب الكتاب إلى ركبته:

- جنيات، وتمائم، وخرافات... كم أحببنا هذا ونحن صغار! الخيال... والطفولة! ما من وقت في حياة أي إنسان يشابه ذلك الوقت. يومها كنا نعيش حقاً في الوهم... وعندما كبرنا، تلقينا ضربات جعلتنا نصحو من الوهم، ومنعتنا من الإيمان، ولم يعد في الدنيا بالتالي سحر.

فابتلعت ريقها... سحر؟... الحب هو سحر... وقلبت بضع صفحات أخرى، تتعامل مع الكتاب وكأنه مقدس، وقالت:

- كانت شديدة الحرص... انظر كيف قصت هذه الصورة للزهور.

- انظري إلى هذه... الأولاد في الغابة... لقد قصت أوراق الشجر المنفصلة وغطت الأولاد بها تقريباً.

- وهناك المزيد من أوراق الشجر تتساقط من الشجرة.

تملك ماكسين حزن شديد ولم تعد تريد رؤية المزيد من عمل تلك الطفلة. لكن كورت كان يقلب الصفحات، صفحة بعد صفحة حتى آخرها... وفي المؤخرة وجد مغلفاً كبيراً. فرفعه وهزه ليعرف ما بداخله:

- ما هذا؟ المزيد من القصاصات لم تستطع لصقها؟ لا... هذه لا علاقة لها بالكتاب... لكنها تتعلق بفيغا. هذه صورها... كانت هنا في حوالي السادسة عشرة.

نظرت ماكسين إلى صورة شقيقة خطيبها وقالت من بين أنفاسها:

- كانت... جميلة...

والتقطت صورة أخرى، فقال لها كورت:

- وهذه صورتها بعد سنة. أخذت لها في منزل أخيها هنا.

وأخذ يقلب قصاصات من مجلة مدرسية تتحدث عن مهارة فيغا وبراعتها في السباحة والألعاب الرياضية. إحدى القصاصات كانت تحمل صورة لمجموعة من فتيات المدرسة يرتدين ثياب العصور الوسطى... فقال كورت:

- مذكور هنا كم كانت بارعة في التمثيل.

أمسك بصورة، مد يده بها نحو ماكسين يسألها باستغراب:

- ماذا تعني بحق الله؟

فأخذتها منه وقطبت. ثم تمتمت:

- هذه... أنا أعرف هذا المكان...

تعجبت لوجود هذه الصورة هنا بين محفوظات نويل:

ـ إنها صورة لمكان لا يبعد كثيراً عن مكان سكني في فنكوفر... ماذا يريد من مثل هذه الصورة بحق الله؟ ليس فيها أحد، والمنظر لا يستحق أن يصوره.

هزت رأسها مفكرة، وتلمست طرف الصورة لتجد أن هناك ما كان مثبتاً إليها بدبوس:

ـ أمر غريب! تصور أن نويل يعرف هذا المكان.

أدارت الصورة إلى ظهرها، فشاهدت كتابة بخط واضح تعرّف بالطريق الرئيسية والفرعية التي تتصل بها، مع إشارة التوقف الظاهرة تماماً في الصورة.

أخذ كورت الصورة منها وقال:

ـ تذكرت الآن... هذا هو المكان الذي حصل فيه الحادث. التقطها الشاهد الذي شهد الحادث وأرسلها إلى نويل معتقداً أنه يمد له يد المساعدة، وأنه من خلال هذه الصورة قد يتمكن من فعل شيء لإيجاد المرأة المتسببة بالحادث. لكن الأمر لم يجدِ طبعاً. وكان نويل حزيناً لدرجة أنه لم يفكر بالتحقيق في ذلك الوقت، خاصة لعدم وجود أي خيط يمكنه الانطلاق منه. وما فائدة احتفاظه بهذه الصورة؟

قطب جبينه غاضباً في وقت كانت ماكسين تقطب بدورها، لكن دون وعي منها. أخذت تستشعر بوخزات خفيفة، غير واضحة في البداية. وبدأ هذا الإحساس بالتدريج يأخذ شكلاً محسوساً لتجد نفسها فجأة ترتجف... وبدأت الذكرى تعود...

فجأة أحست بخدر يصيب ساقيها وأثلجت يداها... وتكلم كورت مجدداً، يقول إنه يود رمي هذه الصورة، فهي لا يمكن لها أن تفيد بأكثر من إعادة الألم إلى نويل. وأدار رأسه وهو يتكلم ليجفل لرؤية وجه ماكسين:

ـ ماذا حصل لك بحق الله؟ تبدين وكأنك شاهدت شبحاً!

جمدت ماكسين غير قادرة على الكلام، بينما كل عصب في جسدها ينتفض وقلبها يضرب بجنون في صدرها. وأغمضت عينيها، ثم سمعت نفسها تتكلم بطريقة مبهمة، ضائعة وبصوت لا يعلو عن الهمس:

ـ أنا... لدي شيء أقوله لك...

أدركت أنها تتمتم متلعثمة، فحاولت أن تنطق بكلام أكثر وضوحاً:

ـ لكن قبل هذا يا كورت، يجب أن تقطع لي وعداً مقدساً، أنك تحت أي ظرف من الظروف، لن تكرر ما سأقوله لك أمام نويل...

ـ ماكسين... ماذا جرى لك؟ وجهك شاحب كالأموات...

توسلت إليه مدفوعة بقوة غريبة لتروي ما حدث لشخص ما:

ـ الوعد كورت!

ـ طبعاً أعدك.

ـ أتذكر أنني قصصت عليك حادثة كيم. وأنني قدت سيارتي بعد خروجي من المشرحة إلى البيت... كنت مصدومة بشكل فظيع... وخلال قيادتي كان تفكيري مغلقاً فارغاً. كل ما استطيع تذكره صوت صرير مكابح وإطارات، وكنت أحس طوال الوقت، أن شيئاً خطيراً قد حدث خلال ذلك الزمن القصير من الغيبوبة الفكرية.

صمتت وهي تعي حيرة كورت، وارتفعت إلى حنجرتها حشرجة مؤلمة، فابتلعت ريقها بصعوبة كي تتخلص منها... ولم يكن صوتها قد ارتفع عن مستوى الهمس وهي تكمل:

ـ كنت أنا المرأة المسؤولة عن الحادثة التي قتلت شقيقة نويل!

حدق بها كورت غير قادر على التصديق:

ـ أنت...؟ عما تتحدثين؟

ـ لقد فهمت كل شيء الآن... كنت أعرف أنني سأتذكر يوماً، وحصل هذا الآن، بسبب رؤيتي الصورة. فهمت بالضبط ما جرى خلال

www.elromancia.com

تلك الدقائق الضائعة من ذاكرتي... خرجت من الطريق الجانبية دون أن أتوقف... وسمعت صوت صرير مكابح رهيب...

أحست بالدوار فأخذت تهز رأسها من جانب إلى آخر في محاولة منها التركيز:

ـ لطالما ظننت أن الصوت صدر عن مكابح سيارتي، لكنني عرفت الآن مصدرها. توقفت فتقدم مني رجل ونظر من النافذة ليقول لي إنني كنت سكرى... وقال اشياء أخرى لا أذكرها... لا يهم، لأن المهم أنني تمتمت شيئاً حول أخي، لأن صورته كانت أمامي طوال الوقت...

ارتجفت بعنف أمام الصورة التي برزت لمخيلتها. فأمسك كورت يديها الباردتين بين يديه... فأكملت:

ـ بالكاد كنت أعي ما أقول أو أفعل. لكنني أذكر أنني كررت مرات ومرات أن كيم مات، وأن الشاحنة قتلته. ألا ترى يا كورت أن الأحداث متطابقة؟

بعد صمت رهيب، صاح:

ـ أكون ملعوناً لو فهمت... أنت لا يمكن أن تقودي سيارتك وأنت ثملة!... والرجل قال إن المرأة كانت ثملة... رائحتها كحول، أو نوع من الكحول... وأنت لا تلمسين الكحول مطلقاً!

أخبرته ماكسين أن مسؤولة المشرحة مسحت لها رأسها ووجهها بقطعة من القطن المبللة «بالسبيرتو» بعد أن كاد يغمى عليها لمشاهدة وجه أخيها المحطم، ولا بد أن الرجل شمّ هذه الرائحة فاعتقدها ثملة، نظراً للظروف التي حدثت فيها الحادثة. وتابعت همساً بصوت معذب:

ـ أنا من تسببت في الحادثة... الأمر متطابق يا كورت... مهما حاولت أن تقول.

نظر إليها مفكراً، ثم نفض رأسه وكأنه يحاول ابعاد الشكوك التي أثارتها في نفسه:

ـ أنت لم تسببي تلك الحادثة مطلقاً... أنا واثق من هذا.

ـ هذا لطف منك كورت. لكن لا فائدة... أعرف أنني خرجت من تلك الطريق.

فصاح يقاطعها وهو يضرب باصبعه فوق الصورة:

ـ من هذا الطريق بالذات؟ أتذكرين أنك خرجت من هذا الطريق؟

فترددت، وظهر في عينيها أنها لم تكن واثقة تماماً من هذا الأمر.

ـ يجب أن يكون هذا هو الطريق...

ـ أكان هو؟ لا تعتمدي على «يجب أن يكون». دعينا نلتزم بالوقائع.

ـ إنه الطريق الذي استخدمته كورت. قطعت بضع مئات من الكيلومترات من مركز البوليس إلى الطريق العام. والطريق الذي خرجت إليه كان مكتظاً... وأذكر كل شيء منذ لحظة وصولي إليه.

لاذ كورت بالصمت لحظات كان يفكر فيها كعادته بصمت... ثم سألها فجأة:

ـ قلت إنك تذكرت «بالضبط» ما حدث. لكن هناك الكثير لا يزال مفقوداً في القصة كما ألاحظ... فأنت لم تذكري الحادثة نفسها. هل رأيت كيف حدثت؟

فهزت رأسها:

ـ لم أتمكن... هل كنت استطيع؟ لقد أكملت طريقي قليلاً... وقال الشاهد هذا...

فقاطعها بخشونة:

ـ انسي ما قاله الشاهد. أتذكرين أنت بنفسك أنك أكملت قيادة السيارة بعد سماعك صوت المكابح الرهيب؟

فقطبت:

ـ أ... أجل...

ـ لا تبدين واثقة؟

www.elromancia.com

فردت بسرعة:

- بل واثقة كورت.

لكنها عادت للعبوس. لم تستطع اظهار الصورة الكاملة في ذهنها بعد. على كل، إنها تعلم بثقة الآن أنها هي سبب الحادثة... فقد حدثت عند النقطة التي دخلت فيها إلى الخط العام، وهناك الشاهد الذي شم رائحة «السبيرتو» وظنه الكحول، وقال إن المرأة كانت ثملة وانها تمتمت بأشياء غير مفهومة، وهي تعرف أنها فعلت هذا وتذكر أنها كانت تتمتم طوال طريقها إلى المنزل... تكرر أن أخاها مات... وتابعت وكأنها تفكر بصوت مرتفع:

- أجل... لقد تابعت سيري. لذا لم اشاهد الحادثة لأنها كانت خلفي، والظلام كان شديداً. ولم يكن في الشارع اضواء، فهو خط ريفي.

تنهد كورت، وتابعت ماكسين لتشير أن من المستحيل أن يصدف وجود امرأة أخرى رائحتها كحول، تخرج من شارع جانبي دون التوقف، وفي نفس الوقت الذي مرت هي فيه بذلك الشارع. وأنهت كلامها واثقة:

- إنها أنا دون شك، ومن المستحيل أن تكون امرأة غيري.

بعد صمت طويل أخذ كورت يهز رأسه ويعض شفته بقوة، ثم سألها كالغريق المتعلق بقشة:

- ألا تذكرين ما قاله لك الرجل؟

- لا... لكن كما قلت، الأمر ليس مهماً. فأنا أذكر بوضوح أنه قال لي إنني ثملة... وبصوت كله احتقار.

- لست مقتنعاً بأنك تعرفت على الطريق.

مع ذلك لاحظت ماكسين من تعابير وجهه أنه تقبل الواقع. فقالت:

- كان قطعاً الطريق نفسه كورت... كان علي الخروج من

المشرحة...

- عبر طريق ريفية؟

فلوحت بيديها نافذة الصبر:

- منزلي في ضواحي المدينة، ويجب أن استخدم ذلك الطريق بالذات لأصل إلى البلدة. إنه طريق قديم ولا يزال على أحد جوانبه مزرعة قديمة.

لكنه قال بصوت أجش:

- لا استطيع التصديق بأنك المسؤولة... لا بد أن هناك خطأ ما!

- كنت أعلم أن تلك اللحظات ستعود إلى ذاكرتي يوماً.

تنهدت بعمق، وبدأت ترتجف من رأسها إلى قدميها بعد أن صدمتها الحقيقة بقوة. إنها المسؤولة عن موت شقيقة نويل. المرأة التي يكرهها أكثر من أي شيء في العالم، فصاحت بصوت مخنوق:

- نويل... اوه يا حبيبي... سامحني!

أجفل كورت:

- حبيبي؟

لكنه أبعد الفكرة عن رأسه ملاحظاً مدى ارتجافها، ووقف ليجذبها إليه... وصاح بها:

- هناك خطأ ما!

فدفنت وجهها في صدره:

- لا مجال للخطأ... فأنا من قتلت ثيغا.

●●●

www.elromancia.com

٩ ـ لن أبقى هنا . . .

أخذ كورت يذرع الغرفة ساخطاً، ثم استدار نحوها متقدماً حيث تجلس على الأريكة، ورأسها بين يديها:

ـ لا يمكنك التخلي عنه. أرفض أن أقف مكتوف الأيدي، وأنتما تدمران حياتكما!

قسوته لم تكن مألوفة لماكسين، فهي لم تشاهده إلا في مزاج لطيف. فقالت له:

ـ يجب أن تذهب الآن إلى الفراش. كل هذا ليس جيداً لك. لقد تجاوزت الساعة الثانية.

وعادت إلى وضع رأسها بين يديها، كانت تشعر بالدوار منهوكة القوى، لكنها كانت مصممة على أن لا تتحرك. أخذ رأسها يضج بالألم لحظة إدراكها الحقيقة وشعرت بأن إحساسها قد تخدر:

ـ أرجوك اذهب إلى النوم. . .

فصاح بها:

ـ يمكنك الزواج منه دون أن تخبريه. وكيف سيعرف أنك أنت السبب؟

فنظرت إليه:

ـ لقد كررنا هذا القول مرات يا كورت. . . لن استطيع أن أحمل ضميري هذا العبء طوال حياتي. لا مجال للأسرار بين الزوج وزوجته. . . كل منهما يجب أن يعرف كل شيء عن الآخر. . . كل

شيء له أهمية. . .

فتنفس كورت غاضباً، واستدار عنها، ووقف في وسط الغرفة جامداً يفكر بصمت:

ـ تقولين انك لن تبقي صامتة إذا تزوجتما. . . مع ذلك فأنت لا تريدين قول كل القصة الآن. فلماذا. . . ما الضرر في أن تذهبي إليه وتخبريه بما جرى؟ لماذا لا تتركينه يقرر بنفسه أمر الزواج؟

ـ لأنني لا أريد مطلقاً أن يعرف بأنني أنا من قتلت شقيقته! سأتخلى عنه لأسباب شرحتها لك.

ـ وهل ستضحين به؟ لقد نبذته امرأة من قبل. . .

ـ لا. . . لقد قلت بنفسك إنه لم يخطبها رسمياً.

رد عليها بلهجة هادئة:

ـ لديك الكثير من الأجوبة ماكسين. لو أنني فقط لم افتح ذلك الكتاب اللعين. . . لو أنك لم تعرفي الحقيقة!

ـ كانت ستعود لي الذاكرة يوماً. بعد أن نتزوج وأنظر إلى الكتاب، كما أفعل دائماً بالكتب. . . حينها كنت سأصل إلى تلك الصورة.

ـ بعد الزواج أجل. . . وهذا أفضل بكثير من الآن!

هزت ماكسين رأسها، وقد تجهم وجهها من شدة الألم الذي ينتابها.

ـ لا يا كورت، من الأفضل أن هذا حصل قبل الزواج. . . سأمضي على الأقل بعزاء أنه لن يكرهني لقتلي شقيقته. فبهذه الطريقة لن يعرف الحقيقة.

ـ لكنه سيكرهك لتخليك عنه!

فارتجفت شفتاها:

ـ صحيح. . . ولكن هذا لن يؤلم أحدنا بقدر أن يكرهني لانتزاعي الحياة من فتاة صغيرة جميلة.

جلس كورت على كرسي في مواجهتها، ومال إلى الأمام ليمسك

بيديها:

ـ ماكسين... يا طفلتي، بحق الله انظري إلى الأمر منطقياً... نويل سيفهم، لو شرحت له كيف حصل ذلك. عندما خرجت من الطريق كنت بحالة مريعة بعد تعرفك إلى جثة أخيك المشوهة، ولم يكن بمقدورك التفكير ولا الرؤية ولا عمل أي شيء... الحزن كان قد أفقدك الحس، ويجب على نويل أن يفهم.

هزت رأسها وسحبت يديها منه:

ـ قد يحاول أن يفهم، لأنه يحبني، ويريد الزواج مني. لكن ماذا عن المستقبل؟ ماذا عن ذكرى ميلاد ڤيغا، وذكرى موتها؟ من المؤكد أن الذكرى ستعاوده خلال السنين. وسيتذكر أنني أنا المسؤولة عن موتها، وسيكرهني... ولن أحتمل هذا... الطريقة التي اخترتها هي الأفضل لكلينا... قلت إنني لم أكن استطيع التفكير والتصرف. وهذا صحيح. لذلك كان من الاجرام أن أقود السيارة أصلاً.

ـ كلام سخيف...! فلا يعقل وأنت في تلك الحالة أن تفكري بشكل صائب وأن تقرري ما إذا كنت تستطيعين القيادة أم لا. وأمر آخر: لست الملامة، على أي حال كان يجب على البوليس أن يهتم بك، ويوصلك إلى منزلك... هم المجرمون لسماحهم لك بالقيادة لوحدك.

فتحركت بنفاذ صبر:

ـ أنا الوحيدة الملامة...

ـ لن أقبل بهذا! ولن يقبل به نويل. وسأخبره يا ماكسين.

ـ لن تفعل! لقد وعدتني!

ـ قبل أن تقصي عليّ الأمر، جعلتني أقطع وعداً دون أن أعرف لماذا. ولا أعتبر نفسي مضطراً للوفاء به بعد معرفتي إياه.

نظرت إلى عينيه يائسة:

ـ لن أكلمك مطلقاً إذا نكثت بوعدك كورت. إنها رغبتي أن لا

يعرف نويل أبداً بأنني قتلت ڤيغا...

ـ توقفي عن استخدام هذه الكلمات...! أنت لم تقتليها!

ـ من قتلها إذن؟

كان يعلو وجهها الشحوب... فبدت كالأموات. أيعقل أن تكون هي من بين كل الناس المسؤولة عن موت ڤيغا؟ يا لسخرية القدر، إنه ظالم لا يرحم. كرر كورت بعناد، متجاهلاً سؤالها:

ـ سيتفهم نويل ما جرى!

من الواضح أنه لم يجد الرد على سؤالها... وهذا أمر كان واضحاً على وجهه المتجهم... وأحست ماكسين بلحظات من الدفء... لكنها قالت بصوت يائس:

ـ لن تتاح له فرصة الفهم. أنا أعني ما أقول. كورت، يجب أن يبقى جاهلاً للحقيقة.

وقف كورت... وبدا قلقاً متعباً. فطلبت منه ثانية أن يخلد للنوم، فهو لم يشف من مرضه بعد... لكنه قاطعها بإشارة من يده:

ـ لن أذهب إلى الفراش إلى أن أعلم ماذا تنوين أن تفعلي؟

ـ قلت لك... سأتخلى عنه وأغادر الجزيرة.

ـ وماذا عني وعن ولداي؟

ففتحت يديها بيأس وقالت إنه سيخسرها في جميع الأحوال.

ـ كما قلت لك، لم يكن نويل ينوي إرجاء الإعلان عن خطوبتنا. وكان ينوي إخبارك بعد أن تشفى تماماً لتبحث عن مربية لتحل مكاني... كورت...

في وسط محنتها، فكرت بكلوديا وأضافت:

ـ في الغد، عندما نكون أقل تعباً سنتحدث بالأمر... أظنني أعرف من هي قادرة على رعاية ولديك.

لم يهتم كورت بما قالته، فتفكيره كان مشغولاً بأمر آخر.

ـ لا استطيع التصديق بأن نويل سيقبل عذرك في التخلي عنه. فمما قلته لي إنه يحبك أكثر من حب أي رجل لامرأة، ويعرف أنك تحبينه بنفس القدر. لذا ستساوره الظنون عندما تنهي الأمر بينكما هكذا.

لم ترد ماكسين لبضع لحظات، تفكر بطريقة تنفذ فيها ما تريده بأسرع ما يمكنها. فلو أنها دخلت معه في جدال، فستنفجر بالبكاء، وتبوح بكل شيء. وهذا ما تريد تجنبه... لا يجب لنويل أن يعرف الحقيقة. وأخيراً قالت لكورت:

ـ كما قلت لك... لم نكن على وفاق أثناء حفلة العشاء تلك الليلة مع آل اوستند. إنه يعرف أنني كنت غاضبة بسبب طريقة تصرفه مع كارولا...

ـ قلت إن السبب هو طريقة تصرف كارولا معه... كما اعترفت أن غضبك لم يكن مبرراً، وفي غير محله، وجهتيه إلى نويل بينما هو لم يفعل شيئاً.

ـ هذا صحيح... قلت هذا. وأعترف أنني كنت مخطئة حين غضبت منه. لكن هذا غير مهم لأنه يصب في مجرى تحقيق هدفي.

كم تبدو هادئة بكلامها! إنها تتحدث حول انهاء خطبتها وكأن الأمر لا يعنيها. لكن في داخلها ألم يعصر قلبها ويدمر شعورها فالفراق القريب سيكون مؤلماً قاسياً مدمراً. وأضافت:

ـ هو كذلك كان غاضباً، لأنني لم أكن متعقلة. فقد ودعني ببرود ليلتها.

فقاطعها كورت:

ـ لم ألاحظ هذا.

فأشارت ماكسين انه لم يلاحظ هذا الأمر لأنه لم يكن يعرف حينها بأمر خطوبتهما فهو بالتالي لن ينتبه لهذا الأمر... وتابعت وفمها يرتجف:

ـ كنت مستاءة جداً لأرد عليه... كنت أشعر بالألم بسبب تجاهله لي. كنت مريعة يا كورت! نتيجة فشلي في الرد عليه، من الطبيعي أن يستنتج أنني فعلت هذا عمداً، بسبب غضبي. ثم عندما لم يتصل، ذعرت لفكرة أنه ربما لا يريد الاستمرار في العلاقة بيننا...

قاطعها كورت مقطباً:

ـ أنا وحدي المخطىء. فقد اتصل بي متوقعاً أن تجيبي أنت على مكالمته. وحين أجبت أنا افترض أن أعلمك بأمر سفره. أتذكر الآن أنه طلب مني ذكر هذا لك... أجل... أنا واثق من هذا... لماذا لم أتذكر؟ أظن أنني لم أعلق أهمية على الرسالة.

ـ بالطبع لم تفعل، فأنت لم تكن على علم بعلاقتنا.

ـ لا... هذا المساء ونحن عائدان إلى المنزل... أعني مساء أمس عندما تحدثتِ عن زواجي مجدداً... ظننت... في الواقع... تقترحين علي... ما الذي يجعلني أقول هذا...؟ لا علاقة للأمر بموضوع خطبتك وفسخها مع نويل.

انزعجت ماكسين لاعترافه هذا... وقالت له:

ـ كنت أفكر بكلوديا.

ـ كلوديا؟... وأنا؟

أجابته بهدوء واثقة بأن ما ستقوله الآن لن يزعج كلوديا:

ـ إنها تحبك كورت. أحبتك منذ زمن طويل.

ساد صمت من نوع جديد، ضاع فيه كورت في ذكرياته، وراقبته ماكسين باحثة عن أي دليل على تأثره، ثم قال:

ـ كلوديا... كيف كان مظهرها؟

ـ نحيلة... متأنقة... وجميلة جداً. جاءت إلى هنا عدة مرات، كما قلت لك. كانت وحيدة يا كورت.

نظر إليها ثم أخفض بصره ليعيد التحديق بها من جديد.

.. والولدين، هل اتفقا معها؟

www.elromancia.com

ـ اعجبا بها كثيراً. وكانت سعيدة عندما قصت عليهما بعض القصص ولعبت معهما. لقد اتفقوا معاً بشكل رائع.

بقيت عيناه مسمرتان على وجهها الشاحب الأبيض... وقال بلطف:

ـ رغم ألمك وتحطم قلبك، لا زلت قادرة على التفكير بالآخرين ولو للحظة... لا عجب من حب نويل لك. لا يمكنك تركه ماكسين.

فهزت رأسها يائسة، وفتح يديه عاجزاً... فقالت:

ـ لنعد لموضوعي معه... قد ينفعني أن يظن بأنني خاصمته بعدم ردي على وداعه. ويظن بأنني ما زلت غاضبة، وأنني متقلبة المزاج، لذا لن يفاجئه أنني خاصمته بسبب عدم إعلامي بسفره.

نظر إليها كورت وهو لا يصدق ما يسمع:

ـ أتظنين بأنه سيتركك ترحلين بكل سهولة؟ اوه... اعرف أنك شرحت لي الطريقة التي ستنفذينها. لكنني قلت وأكرر القول بأن نويل لن يدعك ترحلين. لن يقتنع بما ستقولينه له فأنا أعرفه جيداً. أقول لك دون أدنى شك، إنه سيعرف الحقيقة منك، حتى ولو اضطر لاستخدام القوة. لذا حاذري في خطواتك ماكسين. نويل ليس بالرجل العادي، وليس ناعماً مثلي. أنت لم تعرفي الوجه الآخر لشخصيته... عندما تعرفينه بشكل جيد لن تفكري بمثل هذا الأمر.

سيطر الخوف على ماكسين، بعد أن حل وقت لقائها بنويل... لتعلمه بفسخ خطوبتهما ومغادرة الجزيرة على أول طائرة. لكن هذه الفكرة سرعان ما تلاشت... فلن تستطيع ترك كورت هكذا. ربما يرسل في النهاية بطلب كلوديا، لكن هذا لن يحدث الآن. ومشكلة ماكسين هي مؤقتة. لقد أخبرت كورت بقدوم نويل بعد نصف ساعة من اتصاله بها وبأنها خائفة جداً. فأجابها كورت يهز رأسه:

ـ واضح أنك خائفة... كل هذا غير ضروري. نويل يحبك،

والحب بإمكانه أن يتجاوز كل العراقيل.

ـ إلا هذا الشيء كورت... فسيأتي يوم ويكرهني فيه...

ـ هراء!

فقالت بهدوء، بعد تنهيدة عميقة:

ـ سأتخلى عنه.

تركها كورت حيث تقف على الشرفة بين الأزهار، كطيف بائس. عيناها تلمعان بالدموع، وقلبها محطم.

أخذت تراقب بذهول سيارة تتقدم إلى الطريق الداخلية للمنزل... زاد من تعاستها كون خطيبها قادماً إليها فاقداً الصبر... فهو متشوق لرؤيتها ولتسوية الخلاف الصغير بينهما... ليأخذها بين ذراعيه، يطالب بحبها.

بوجه شاحب، وأوصال مرتجفة، سارت نحو وعاء زهور منعزل. بعد أن تأكدت من مشاهدته إياها. ترجل من السيارة ولحق بها. وبعد وصوله قال بصوت أجش:

ـ ماكسين... يا فتاتي... آسف على جرحي لإحساسك.

وفتح ذراعيه مرحباً لاستقبالها، واضطرت لتجميع كل قواها للسيطرة على ساقيها كي تمنعهما من الانطلاق نحوه. إنه الرجل الوحيد الذي أحبته في عمرها والذي ستبقى تحبه. إنه فعلاً آسف... الاعتذار في عينيه، وأحست بألم لا يوصف لعدم قدرتها على الاعتذار له من صميم قلبها والقول بأنها هي المخطئة فكل ما جرى وسيجري... غلطتها لوحدها... لكن اعتذارها سيعرقل خطتها بالابتعاد وقالت ببرود:

ـ من الطبيعي أن تكون آسفاً يا نويل! تصرفك كان خالياً من اللياقة. حتى أنك لم تتصل لتقول إنك آسف... بل سافرت هكذا. دون أن تهتم بمشاعري.

www.elromancia.com

واختنقت كلماتها وهي تشاهد ذراعيه الممدودتين تهبطان إلى جانبه، ووجهه يشحب، رغم سمرته... لكنها أكملت:

ـ إذا كنت تعاملني الآن هكذا. فماذا ستفعل بعد أن نتزوج؟

نظرت إليه نظرة ازدراء، واستمرت في الكلام:

ـ لن أخاطر أبداً. لقد انتهت علاقتنا وخطبتنا انتهى أمرها... و... ها هو خاتمك.

وقف للحظات مشدوهاً يحدق بالخاتم الذي أمامه. وكأنه فقد النطق غير مصدقٍ. وبعدها تمكن من القول بصوت أجش ومتألم:

ـ هل جننت؟ أتدركين تماماً ما تقولين؟

بدا مذهولاً... مرتبكاً مما طغى على شخصيته الواثقة القاسية واهتز كتفاه العريضان قليلاً... فأحست بالألم يعتصر قلبها، وتوترت أعصابها وهي تحاول منع سيل الدموع من الانهمار... كيف يمكن لها البقاء هنا، بعيدة عن ذراعيه اللتين تتوق إليهما. ليتها تستطيع إطلاق سراح رغباتها! أطبقت اصابعها حول الخاتم الذي لم يتحرك ليأخذه منها... وخطت خطوة نحو حبيبها لم تقدر على السيطرة عليها. لكنها توقفت وتلك الذكرى الرهيبة تصفع تفكيرها ثانية بأنها السبب بموت شقيقته. وقالت لنفسها في محاولة أخيرة للثبات على ما صممت عليه... لن يكون هناك مستقبل لهما معاً... ليس وظلال قاتمة كهذه تلوح في أفق مستقبلها معه. كراهيته قد تبدأ صغيرة، سببها خلاف بسيط ثم تكبر مع الذكريات... كما شرحت لكورت تماماً... وفي النهاية لن يعود بإمكانه اخفاء كراهيته وسيكشف عنها بكل وسيلة ممكنة. فمن الأفضل انهاء الأمر الآن... هكذا سيتمكن من النسيان بعد فترة.

أجل... نويل سينساها... فالرجال هكذا... وستكون له علاقات أخرى، وتجارب عديدة. وفي وقت ما، سوف يتزوج بعد أن يمل من تلك العلاقات...

ـ ماكسين! لقد كلمتك! أجيبي... لا تفعلي هكذا وكأنك المتفوقة المتعجرفة. قولي شيئاً!

غضبه تصاعد الآن، وعلمت ماكسين بهذا، وأحست بصوتها يرتجف وهي ترد:

ـ قلت لك ما لدي. لم تعد لدي الرغبة بالزواج منك...

توقفت كلماتها بوحشية عندما هزّ كتفيها بعنف فأحست بعظامها تكاد تتحطم. فصاحت:

ـ نويل... أرجوك لا تفعل هذا!

فصاح بها بوجه عابس:

ـ ماذا حصل لك؟ أنت تحبينني... وأنا واثق من هذا! ماذا حصل؟ بحق السماء ماكسين... لن أكون مسؤولاً عن تصرفاتي إذا لم تعطني تفسيراً... وفي الحال!

ودفعها عنه، لتصطدم بشجرة خلفها، ووقع الخاتم من يدها وتدحرج بعيداً إلى شق في الأرض المرصوفة بالحجارة.

ـ أنا... لم أكن أحبك... ولن استطيع الزواج منك... نويل.

ـ لن تستطيعي؟ لن تستطيعي ماكسين؟

أدركت غلطتها، وعلى الفور حاولت اصلاحها مضيفة:

ـ لا استطيع المخاطرة بأن تعاملني بسوء...

فصاح ينظر إليها بذهول:

ـ اعاملك بسوء؟

ـ لقد عاملتني بشكل فظيع تلك الأمسية، وأنت تغازل كارولا! فما هو نوع الحياة الذي أتوقعه مع رجل يغازل فتاة أخرى قبل زواجه مباشرة... وأمام أنظار خطيبته! كم كنت سأذل لو أن خطبتنا لم تكن سرية!

وصمتت... هل سيقتلها الآن؟ مر هذا بخاطرها، وهي تراقب اللون القرمزي يتصاعد إلى خديه، وتنظر إلى فمه يلتوي بقسوة. وقال

www.elromancia.com

راعداً متقدماً نحوها:

ـ طلبت تفسيراً... ماذا حدث؟

ـ أرى أنك مغرور جداً... واثق من جاذبيتك، حتى أنه من المستحيل أن تقبل واقع رفضي لك. لكن هذا هو الأمر. ولا بديل لك عن قبوله.

هل سيقنعه كلامها هذا؟ لقد حذرها كورت أنه لن يتقبل الوضع بسهولة، كما حذّرها من الجانب الآخر لطبيعته... لكنها وبالرغم من توقعها لغضبه وتحضرها لمجابهته، لم تتمكن حتى في أكثر تخيلاتها جنوناً أن تتصور غضباً كهذا. كان كالشيطان! وجهه الوسيم شبكة من الخطوط الشريرة. ويداه... يداه الطويلتان بأصابعهما الحساسة، مفتولتان بنيتا اللون... تنفتحان وتنقبضان كأنهما تطبقان على عنق أحد ما... ربما عنقها... لتخرج الروح من ذلك العنق. ابتلعت ماكسين ريقها بصعوبة... لو أنها لم تختر هذا المكان المعزول... لكن تأخر الوقت للتفكير بهذا الآن. فقد اصبح وجهه أكثر شراً، لكن يداه جمدتا، واستوت كتفاه، لتستعيدا شكلهما المألوف... ثم سألها أخيراً بصوت قاسي النبرات:

ـ أهذه كلمتك الأخيرة... أليس لديك أي شيء آخر؟

ـ أبداً.

الكلمة لم تكن أكثر من همسة، لكنه سمعها واستدار ليذهب فقالت له:

ـ خاتمك!

بطريقة ما أحست أنه يجب أن لا يذهب من دون أن يأخذ الخاتم معه. فاستعادته ستجعل الانفصال نهائياً... وانحنت لتلتقطه، لكن من شدة توترها وقع ثانية... تحت حجارة أرضية تحيط بشجرة. وهي تنحني ثانية لتستعيده شاهدت قدماً غليظة متكبرة تحط قرب يدها، وأمام

أنظارها، تغرس الخاتم في التراب تحت الأحجار إلى ما تحت جذور الشجرة.

في لحظة واحدة كانت وحدها، وقد استعادت الخاتم، ذهبه ملتو وماسه يلمع في الشمس. واختلطت دموعها بالتراب لتلوث اصابعها بالوحل... فمسحتها على فستانها دون تفكير، ووضعت الخاتم في جيبها. وتركت المكان لتسير ببطء إلى داخل المنزل.

كورت كان بانتظارها، ووجهه متجهم:

ـ فعلتها اذن؟ عرفت هذا من الطريقة التي انطلق بها نويل بسيارته، ولم يدخل ليلقي التحية عليّ. ماكسين كيف استطعت؟

ـ لم يكن أمامي طريقة أخرى يا كورت... وما كانت ستنجح لو وجدت.

ـ لقد حطمته.

ـ سينسى مع الوقت.

ـ لا استطيع التكهن كم يحبك ماكسين، لكنني أعرف أنه يعطي كل حبه للمرأة قبل أن يطلب منها أن تصبح زوجته.

فغمر الألم تقاطيع وجهها وهمست:

ـ أعرف.

وفي لحظة أصبحت بين ذراعي كورت تبكي على صدره:

ـ خففي عنك يا طفلتي... لماذا... لماذا لم تتعقلي قليلاً؟

جفف لها الدموع، ثم ضمها إليه ثانية... في تلك اللحظة عاد نويل عن طريق الشرفة بعد أن ترك السيارة في الطريق الخارجية. فوقف في الباب الزجاجي المفتوح يراقب التراجع السريع لماكسين من أحضان كورت. وقال بصوت وكأنه لذع السوط بالرغم من هدوئه:

ـ هكذا هو الأمر اذن. لقد قالت لي كارولا إن هناك شيء بينكما... لكنني لم اصدقها عندما قالت إنها شاهدتكما معاً. لكنني

www.elromancia.com

رأيتكما الآن بنفسي. . . اعذراني على التطفل.

ونظر إليهما، كل بدوره، ساخراً، ثم استدار ليعود من حيث أتى. فصاح كورت يناديه:

ـ نويل. . . !

لكنه استمر بسيره دون أن يلتفت، فأكمل كورت ساخطاً:

ـ ما هذا الموقف اللعين؟

ـ أنا آسفة جداً يا كورت. لقد أفسدت كل شيء بينكما. . . أنا السبب بخصامكما الآن.

ـ سأسوي هذا في القريب، فلا تزيدي من همومك بالقاء اللوم على نفسك دون ضرورة.

صمت ليستمع إلى صوت إطارات سيارة نويل وهدير محركه، وقال عندما اختفى الصوت وساد الصمت:

ـ لقد عاد ليحاول مجدداً. لم يكن قادراً على قبول تفسيرك. . . لقد حذرتك.

أغمضت عينيها بشدة لكن الدموع تدفقت من تحت رموشها. . . لقد عاد نويل. . . وكان مصراً أن يحطم دفاعها. وهذا ما تعرفه دون أدنى شك. ولو وجدها وحيدة لما كان تركها حتى يعرف القصة كلها. وتصورت أن كورت لن يضيع وقتاً قبل أن يتصل به فسألته:

ـ هل ستقول له الحقيقة، أعني عنا. . . أنت وأنا؟

ـ بالطبع. . . لن أزيد من بؤسه وأتركه يعتقد خطئاً بأنني السبب في تركك له.

فترددت ماكسين:

ـ ألا تستطيع الانتظار لوقت قصير؟

ـ الانتظار؟ انتظار ماذا؟

بدا نافذ الصبر معها، لم تستطع لومه.

ـ أعرف أنك تواق لأن تزيل وهمه بالنسبة لما استنتجه عني وعنك. . . لكن لو اخبرته الحقيقة الآن، فسيعود لاستجوابي على الفور.

نظر إليها كورت بقساوة، إلى عينيها المليئتين بالألم.

ـ أنت لن تتمكني من الإصرار على موقفك لو عاد ثانية؟

فهزت رأسها معترفة بالواقع:

ـ قد يستخدم العنف ليستخرج الحقيقة مني. . . كما قلت أنت.

ـ ما يدهشني أنه لم يقم بهذا.

على الفور لامست ذراعيها حيث أمسكها متسائلة ما إذا كانت قبضته ستترك آثارها عليها. وقالت وشفتاها ترتجفان:

ـ لقد. . . كان خالياً من الرقة معي.

ـ أتمنى مخلصاً لو أنني لم أقطع لك ذلك الوعد.

لكنه تابع ليؤكد لها مطمئناً أنه لن يخل بوعده. فأضافت:

ـ وستنتظر. . . لفترة قصيرة قبل أن تخبره أن لا شيء بينك وبيني؟

ـ إنه أعز الاصدقاء يا ماكسين. . . لا يمكن أن أتركه يتألم أكثر مما تألم. . . ألم تفكري بالطريقة التي تلقاها. . . لعلمه أنك فضلت رجلاً عجوزاً له ولدان عليه؟

ـ أجل. . . فكرت بهذا. . . لكنني أحس بأمان أكثر في تركه يظن هذا إلى أن أبتعد عن هنا.

وغاب عن ذهنها أنه من الأدب أن تنكر أن كورت عجوزاً. وحين تذكرت الموضوع كانت اللحظة المناسبة لهذا قد فاتت. وكان كورت يرد عليها بقساوة:

ـ حتى تبتعدي من هنا. . . ألم يبدر إلى ذهنك أنه عندما يعرف الحقيقة عني وعنك فقد يلحق بك إلى ڤنكوڤر ويطالب بالتفسير؟ ألست خائفة من هذا؟

www.elromancia.com

ـ وتبادر إلى ذهني هذا أيضاً. واقع مغادرتي المكان بحد ذاته هو الدليل ويكفي علمه أنني لا أريده. لذلك لن يهين كرامته ويلحق بي ليتوسل إليّ أن أعود إليه.

استغرق كورت في التفكير العميق، كما يفعل عادة... ومع ان ماكسين احتارت بمَ قد احتل تفكيره في وقت كهذا إلا أنها خمنت وانتظرت بصبر ليرد عليها بالنسبة لطلبها. فجأة لاحظت اتساع عينيه ثم قطب حاجبيه بعد أن لاحظ تحديقها به. وقال:

ـ حسناً... ماكسين... سأبقى صامتاً إلى أن تغادري الجزيرة.

فنظرت إليه بريبة.

ـ يبدو وكأنك لا تمانع في مغادرتي؟

ـ طبعاً أمانع... لكن بما أنك مصممة، فلا فائدة من تضييع وقتي في محاولة منعك. أنت تتخلين عن نويل، وواضح أنك ترغبين في تجنب لقاء محتمل معه، وهذا حتمي لو بقيت في الجزيرة.

لكن ريبة ماكسين بقيت. هناك شيء في لهجة كورت لم تفهمه:

ـ وعندما أغادر... لن تبوح بسري له؟ لقد وعدت كورت، يجب أن لا يعلم مطلقاً بأنني سبب الحادثة.

نظر إليها دون أن تطرف له عين:

ـ لقد قطعت وعداً مقدساً أن لا أذكر كلمة مما أعرف لنويل.

فقالت بارتياح:

ـ شكراً لك... لم أفكر مطلقاً أنك ستخذلني...

وتمكنت من الابتسام له شاكرة، فابتسم بدوره وقال:

ـ لدي عمل أنهيه. فاعذريني عزيزتي. سأمضي في مكتبتي حوالي الساعة.

فقالت محذرة:

ـ ليس أكثر من ساعة، وإلا فسأدخل بنفسي لأخرجك من هناك.

فمن المفروض أنك لا زلت بحاجة للراحة.

فهز رأسه موافقاً وتركها. فحدقت بالباب المقفل مفكرة بأنه لا زال هناك شيء غريب في تصرفاته... لم تفهمه.

●●●

www.elromancia.com

١٠ ـ ظلال بيننا

في خلال اسبوع، كانت ماكسين جاهزة للسفر، وبدا كورت متشوقاً لسفرها. وهذا أمر حيرها بقدر ما آلمها رغم رغبتها بالسفر في أسرع وقت ممكن. وقال لها بعد ساعات من زيارة نويل التي لا تنسى:

ـ أرسلت برقية لكلوديا... طلبت منها أن تستلم مكانك وظيفة مربية لولدي.

ـ ستقبل.

وكانت محقة، فقد أرسلت كلوديا رسالة بريدية تقول إنها تدبر أمر تأجير شقتها وبيع سيارتها، ثم تحضر على الفور. وكتبت رسالة أخرى إلى ماكسين تسألها عن سبب تركها عملها. لكن ماكسين فضلت في الوقت الحاضر عدم البوح بشيء... وتابع كورت يقول:

ـ تقول إنها ستجيء على أساس تجربة ستة أشهر. وأتمنى أن نتفق جميعاً.

ـ أنا واثقة أنكم ستتفقون.

ستة أشهر... بكل تأكيد سيقع كورت في حبها قبل هذا بكثير. قال كورت متعمداً عدم التقاء نظره بنظرها:

ـ لا حاجة لك لانتظار وصول كلوديا. بإمكان رونزا أن تتدبر أمر الولدين، لأسبوع أو اسبوعين.

ـ شكراً لك كورت.

كانت تشك في أن أحد أسباب توقه، هو رغبته أن يعرف نويل في

أسرع وقت ممكن أن لا شيء بينه وبينها. أو من المحتمل أن يجد صعوبة في ابقاء أمر رحيلها سراً. فقد كان حرجه ظاهراً بعد بضعة أيام من قرارها، عندما التقى مع آل اوسلي، وهما يتسوقان في «كاستريس» ودعتهما السيدة اوسلي إلى حفلة شواء ستقام في حديقة منزلهما بعد اسبوعين. ولم يستطع أن يقول بأنها مسافرة، لعلمه أن هذا سيصل سريعاً إلى أسماع نويل. فشكرها كورت على دعوتها وقال إنهما سيحضرانها.

وقالت ماكسين معتذرة بعد ابتعاد المرأة وزوجها:

ـ بعد رحيلي... بإمكانك القول إنني استدعيت على عجل بسبب مشاكل خاصة ملحة.

فهز رأسه... وبدا عليه الأسى... فشكرته لصبره وتعاونه معها. لكنها لم تتلق رداً.

سألها قبل يومين من رحيلها المقرر:

ـ أيمكن أن أدعوك للعشاء مساء الغد؟ لن نتأخر، فأنا أعرف أنك ستسافرين في وقت باكر.

فوافقت... وخرجا لتناول العشاء في «قصر القرصان» الأمر الذي اكتشفت ماكسين أنه لم يكن الخيار الأمثل. فقد أعاد إليها ذكريات عدة مناسبات كانت فيها هناك مع نويل. لكنها حاولت أن تبدو متألقة، وأن تتناول الطعام بسرور لأجل كورت. وأحست بأنها نجحت في هذا، حتى أنها تمكنت من الضحك على أمر قاله. بعد انتهاء الوجبة خرجا من الفندق لفترة، يتأملان الميناء الجميل للجزيرة، بأنواره المتلألئة الممتدة حتى الشاطىء وكأنها رباط فضي من حوله. ينعكس نورها ونور السفن السياحية الراسية هناك فوق سطح الماء.

سألها متردداً، لمعرفته بما تحس به:

ـ أتودين الرقص؟

فوافقت ليدخلا إلى الشرفة حيث كانت فرقة موسيقية تصدح

www.elromancia.com

بألحانها... بعد ذلك جلسا يتناولان شراباً بارداً، ثم قال كورت:

ـ لمحت لتوي شخصين أعرفهما منذ كنت أعيش في نيويورك. لا بد أنهما هنا في عطلة... وربما جاءا في السفينة السياحية. أتمانعين لو ذهبت لأتحدث إليهما قليلاً؟

فابتسمت ووافقت. بالطبع لن تمانع. وبينما لاحقته عيناها إلى حيث ذهب، لم تشاهد نويل وكارولا يدخلان ليحتلا طاولة إلى الجانب الآخر من طاولتها. لم تمضِ لحظات حتى رفعت رأسها لتشاهد نويل يقف قربها. يرتدي سترة بيضاء أنيقة ويبدو شاحباً بشكل غير معهود.

خفق قلبها، وتلفظت شفتاها «مرحبا» متوترة لكن الصوت لم يخرج من بينهما... وبقيت العينان العسليتان المشعتان بلون أصفر غريب مثبتتان عليها دون أن ترمشا، ولفترة طويلة، قبل أن يقول بصوت كأنه الجليد:

ـ هل يمكن لنا أن نرقص ماكسين؟

أذهلتها الدعوة... توقفت آلياً لتكتشف أن ساقيها ترتجفان. نظرت بسرعة حولها لتجد كارولا، تجلس لوحدها وعيناها منكسرتان، فمها الجميل مزموم، وجبينها العريض مقطب بالعبوس، فقالت ماكسين:

ـ أنا... الأفضل... لا...

لكنها كانت قد أصبحت بين ذراعيه، ليبعدها عن الطاولة... بعد قليل، رمقته من بين رموشها، وجهه كان قناعاً يخلو من الابتسام. لكن عندما تفحصت التعبير في عينيه التوى قلبها ألماً. لا بد أنه أكثر الرجال تعاسة هذه الليلة... كما هي أيضاً أتعس امرأة... إنه القدر... وتجمعت الدموع في عينيها فأطرقت، لتنظر إلى أزرار سترته. يجب أن لا يرى هذه الدموع. يجب أن تبقى متمسكة بقرارها... فلو أدرك تعاستها، سيجبرها دون رحمة على البوح بالحقيقة. وسيقول إن الأمر غير مهم لأن ما حدث لم يكن غلطتها، والنتيجة ستكون أن يقنعها

لتتزوج منه... اوه... أجل... لن تتمكن من مقاومته. من محاربة قوة شخصيته الجارفة... ولفترة سينعمان بالسعادة، لكن بعد انقضاء الأسابيع الرومانسية، وبمرور الأشهر سيبدأ بالتفكير، وسيتذكر أن زوجته هي التي قتلت شقيقته...

وفكرت ماكسين: «لكن الرومانسية بيننا قد لا تنتهي أبداً... فلماذا لا أجرب حظي؟» لكن في اللحظة التالية كانت تعنف نفسها بحزم إذ أن حبه مهما كان عميقاً ومهما استمر، فسيصل حتماً إلى نقطة سيستعيد فيها الذكرى مرات ومرات. لو أنها فقط تستطيع كتمان السر. لتزوجته دون أن يعرف من هي، وعندها لن يكون هناك حاجز بينهما... لكنها لن تستطيع، تعرف نفسها جيداً، ولا يمكن أن تخدع نفسها بأنها قد تستطيع العيش مع كذبة. صحيح أنها لن تكون كذبة، كما قال كورت، لكن لماكسين مثلها العليا وقيمها الأخلاقية. وحسب اعتقادها كتم الحقيقة والابتعاد خير من العيش مع كذبة.

قاطع صوت كورت العميق أفكارها:

ـ ألن تقولي لي أي شيء ماكسين؟

ـ وهل هناك شيء يقال؟

أخذت تلتفت باحثة عن الطاولة التي ذهب إليها كورت... لو أن الموسيقى تتوقف، ولو أن كورت يكون موجوداً عندما تتوقف... لطلبت منه أن يأخذها إلى المنزل فوراً.

ـ أعتقد هذا... أجل... أعتقد أن ليس هناك شيء يمكن لك أو لي أن نقوله لبعضنا. أتريدينني أن أعيدك إلى طاولتك؟

ـ أرجوك.

رافقها إلى الطاولة ثم تركها دون كلمة. وضمت يديها معاً بقوة، تصرخ في نفسها بلوعة: لماذا لا تأخذ فرصتها! لماذا... لماذا؟

* * *

www.elromancia.com

بعد وصولها إلى موطنها باسبوعين، عادت إلى عملها وحاولت الاستقرار في عمل روتيني مشابه لما كانت قد اعتادت عليه قبل سفرها. لويزا وبيرت، وجدا لهما منزلاً لائقاً اشترياه قبل اسبوع من عودتها، وبما أنهما سيتركان منزلها بعد شهر، قررت أن تنشر إعلاناً ليشاركها شخص آخر منزلها. فمصاريف المحافظة عليه تزداد ارتفاعاً، ولن تتمكن من تغطيتها لوحدها.

أظهرت لويزا الفضول بالنسبة لقرارها المفاجيء بالعودة. لكن ماكسين وفرت على نفسها حرج ذكر خطوبتها. فهي لم تذكر هذا في أية رسالة أرسلتها لها. فكرت ماكسين يوماً وهي تجلس لوحدها تتناول الشاي، كم من الغريب أنها كانت دائماً تشك في مستقبلها... صحيح أنها، كأية فتاة مخطوبة، حاولت تصور يوم الزفاف... والفستان الأبيض الجميل، وباقة الزهور، والكنيسة والأرغن والجوقة... ولحظة الانفراد بزوجها... لكن كل هذا لم تستطع أن تتصوره بوضوح فقد كان هناك دائماً ظلال تعتمه. من الواضح أن حاستها السادسة أشعرتها بما سيحدث... وعلمت طوال الوقت، في قرارة نفسها، أن شيئاً سيحدث ويمنع زواجها.

لكنها لم تكن تظن مطلقاً أن تكون هي نفسها من يفسخ الخطبة. وأن تضطر لهذا لاكتشافها أنها المرأة التي كانت المسؤولة عن الحادثة التي سلبت نويل حياة شقيقته العزيزة المحبوبة.

بتنهيدة عميقة، وقفت، لتلتقط الإبريق وتضيف الماء المغلي إلى ما تبقى من الشاي... اليوم هو السبت بعد الظهر... ولويزا وبيرت غادرا المنزل باكراً ليمضيا وقتهما بترتيب حديقتهما الجديدة، فعمال التصليحات تركوها في حالة مزرية. وقالت لويزا:

- لن نعود قبل المساء.

وهكذا توقعت ماكسين قضاء يومها وحيدة. حاولت أن تبعد تفكيرها عن مأساتها بأن تجد عملاً في المنزل. كانت قد خرجت لتقوم بشراء اشياء لا لزوم لها من السوبرماركت. واشترت للأسبوع القادم والذي يليه. وها هي الآن تحاول تناول طعام لا تشعر بشهيته إطلاقاً. لو أنها فقط تستطيع الامتناع عن التفكير بكورت لتصبح الحياة أسهل لها... لكن وجهه الحبيب كان يتراءى دائماً لها عند كل فكرة أو صورة تمر في خيالها. حتى عندما تفكر بكلوديا وكورت وولديه كانت صورته تطغى عليهم...

كلوديا... لا بد أنها على الجزيرة الآن... مستقرة في الواقع. تذكرت ماكسين خفة المزاج التي عرفتها يوم زارت كلوديا منزل كورت. تعرف الآن أن هذا نتيجة اقتناعها أن كلوديا وكورت سيجتمعان في النهاية. حسنا... على أقل تقدير سيتفقان، بعد أن تعيش معه في منزله. وتمنت بكل إخلاص أن يكونا سعيدين... فقد انتظرته كلوديا كثيراً.

توقفت عن التفكير لحظة سماعها صوت باب سيارة يغلق بقوة قرب آخر الممر القصير الموصل إلى المنزل. فوقفت تنظر من النافذة. اتسعت عيناها ودون وعي منها ضغطت يدها على قلبها.

- نويل؟

وأخذ قلبها يخفق... هل هذا واقع؟ أم إنه خيال؟

كان يسير بخطواته الرشيقة إلى الباب الجانبي للمنزل. عيناه تبحثان في النوافذ السفلية للطابق الأرضي. وحينما شاهدها استدار عائداً، وأخرج مالاً ليدفع لسيارة التاكسي المنتظرة. ثم عاد إلى الباب ثانية. وسمعت صوت مقبض الباب يدق وهي على وشك أن تفتح، وقفزت كل أعصابها متوترة. ماذا يريد؟ هل عرف الحقيقة؟ هل حنث كورت بوعده؟

www.elromancia.com

ـ حسناً... ألن تطلبي مني الدخول؟

الصوت الجاف، العينان الضيقتان الغاضبتان، الشفتان المطبقتان بقوة... كل هذا دفع ماكسين للقول بصوت مليء بالخوف:

ـ ما... ماذا... تر... تريد؟

فانفرجت شفتاه، وسمعت صرير أسنانه. دفع الباب لينفتح على مصراعيه ودخل، تخطاها ثم وقف لينظر إلى أن تمالكت نفسها بما يكفي لتغلق الباب.

قال وهو ينظر إليها محني الرأس في ظلمة الردهة الصغيرة:

ـ والآن... سنتحدث! أكنت جالسة هنا؟

دون انتظار الرد، دخل المطبخ حيث كان إبريق الشاي وفنجانها فوق الطاولة.

ـ لا... أنا... عادة أجلس في الغرفة الأخرى.

صمتت لترطب شفتيها اللتين جفتا من تأثير الخوف. ثم قالت بلهجة متوسلة:

ـ نويل... لماذا جئت؟

صوتها كان متهدجاً مختنقاً، عيناها توسلتا لعينيه أن تخففا من بريقهما الساحر، ويدها مضغوطة دون وعي على خدها. استرخى فم نويل بعد أن لاحظ هذه الأمور، وهز رأسه منتقداً ساخطاً:

ـ لماذا جئت؟ أأنت بلهاء لهذه الدرجة؟ إن غباءك قد فاق المعقول. اجلسي! يبدو أنك ستفقدين الوعي.

بقيت واقفة، لكنها وضعت يداً على مؤخرة الكرسي، وكأنها بحاجة إلى شيء يسندها. وقالت:

ـ اكتشفت الحقيقة... أصبحت تعلم... الآن... أنني...

كانت أفكارها مشوشة جداً... غير قادرة على التصديق بأن كورت نكث بوعده لها... ومستحيل عليها أن تتلفظ بما تريد قوله، فاحمر

وجهها، واستدارت عنه، لتكمل:

ـ لست أدري لماذا جئت نويل. لكن إذا كنت ستطلب مني الزواج، فالرد لا يزال «لا»...

ولم تكمل... فقد أمسك نويل بكتفيها ليديرها نحوه:

ـ لم أحضر لأطلب منك الزواج. جئت لأعيد خطيبتي إلى بيتي... حيث يجب أن تكون!

هزها قليلاً، وكأنه مضطر لأن يفعل هذا ليعيدها إلى صوابها، أو ليفرغ غضبه الذي يعتمل في نفسه... لكن وجهه كان قد اتخذ مظهر أنعم، ويداه على ذراعيها أكثر رقة... وتابع:

ـ أنت حمقاء ماكسين... فتاة صغيرة... سخيفة...

قاطعته بإلحاح:

ـ نويل... لا استطيع الزواج منك وظل رهيب كهذا بيننا. لا بد أن كورت أخبرك. ولا بد كذلك أنه شرح لك بأنني أعلمته بعدم استطاعتي الزواج منك دون الاعتراف، وإذا اعترفت، لن استطيع الزواج منك كذلك، مع أنك قد توافق أن الغلطة ليست غلطتي، فسيأتي يوم قد تكرهني.

ـ صحيح؟ متى؟

ـ ربما... عندما نتخاصم...

ـ لكننا لن نتخاصم.

أدهشها تعبير وجهه، عيناه كانتا في الواقع تلمعان... وأكمل:

ـ لا يا ماكسين. لن نتخاصم. لأنك بكل بساطة أعقل من أن تدفعني للخصام. خاصة بعد أن عرفت الكثير عن طباعي. في الواقع، كورت لم يخبرني القصة... بل كلوديا.

ـ كلوديا؟ لم أخبرها القصة قط.

ـ لا... لكن كورت فعل. أرسل بطلبها خصيصاً لتكرر لي ما أخبرته به.

www.elromancia.com

أجفلت ماكسين:

ـ هذا أمر بعيد عن اللطف... ألم يكن هناك سبب آخر ليرسل في طلبها؟

ـ ليس في ذلك الوقت...

ـ لكنه بحاجة إلى مربية لولديه.

ـ لم يكن بحاجة لطلبها من تلك المسافة البعيدة. صحيح أنه اعترف باهتمامه بها قليلاً، بعدما قلتيه له... سيتزوجان بعد شهر. وكلوديا عادت لتبيع منزلها وأغراضها الأخرى، وستعود في الوقت المحدد لزواجنا. وعدتها بتأخيره إلى حين عودتها.

بدا لها الآن هادئاً، واثقاً من نفسه. لكن هناك عرق ينبض في عنقه لم يسيطر عليه بعد... مضت بضع لحظات قبل أن تتكلم ماكسين:

ـ لا استطيع الزواج منك نويل.

تأخرها في قول هذا كان لتفكيرها بالألم الذي ستسببه له، ولنفسها بالطبع. رغم أنه من الأسهل لها أن تتوقف عن المقاومة... وتسمح له بتنفيذ ما يريد... وتطفىء شوقها بالارتماء بين دفء ذراعيه.

نظر إليها متفرساً بعينيه الحادتين:

ـ لقد قلت كلاماً سخيفاً لتوك عن ظلال بيننا...

فقاطعته:

ـ ليس كلاماً سخيفاً... سيكون دائماً موجوداً.

فعبس في وجهها، ممسكاً بثوبها دليل توتر أعصابه وقال:

ـ ألن تصمتي وتدعيني أكمل كلامي؟

ـ آسفة نويل، كنت أحاول أن أجعلك تفهم.

فرد بكلمات بطيئة متعمدة، كأنه يستخدمها في الحديث مع طفل صغير:

ـ وأنا أحاول أن أجعلك تفهمين ماكسين! لم يكن لك علاقة بموت

شقيقتي!

وحل الصمت... لم تسمع خلاله سوى صوت ضربات قلبها المبتهجة، لقد صدقته، وتلاشت كل الغيوم من عينيها. فجأة... عادت إلى عقلها، فهزت رأسها وقالت باقتناع:

ـ أنت تقول هذا فقط... لكن الأمر لن ينجح نويل...

فقاطعها بصوت ناعم:

ـ ماكسين... أنت حقاً تثيرينني... متعمدة. إلى أي مدى تتوقعين أن يطول صبري؟ ألديك فكرة عما تحملته منك؟ وعن كل المشاكل التي سببتها لي؟ قبل كل شيء عرضتني لسخريتك وعجرفتك على تلك الشرفة في منزل كورت واتهمتني بالعبث مع كارولا أمام عينيك... وهذا كان كذبة لعينة! ودعوتني بالمغرور، ورميت لي خاتمي في وجهي...

ـ أنا لم أرمه...

فصاح بها:

ـ امسكي لسانك!

فرفعت ماكسين رأسها، وشبكت اصابعها معاً وهو يكمل:

ـ تركتني اؤمن أنك تفضلين كورت عني. جعلتني أتحمل متاعب ترتيب مجيئي إلى هنا للبحث عنك. وها أنت تتهمينني بالكذب! لقد وصلت إلى النهاية ماكسين. جربي دفعي خطوة أخرى ولسوف تدفعينني للقيام بعمل قد أندم عليه!

بدأت كلماته تسجل معناها الحقيقي في رأسها، فقالت:

ـ آسفة... ما جرى يومها كان تمثيلية لا بد منها... كما لا بد فهمت إذا أخبرتك كلوديا بكل شيء.

ـ أعرف الآن بالطبع أنها كانت تمثيلية... لكنني يومها ما كنت أعلم. على كل هل خففت عني الصدمة كونها تمثيلية؟

ـ حسناً... لا.

www.elromancia.com

صمت فترة، ثم أخرج شيئاً من جيبه أعطاه لها، واحتفظ بآخر في يده. وقال:

ـ فكرت بالفعل أنك ستشكين بأنني أكذب. لذا هاك دليلاً على أنك لست متورطة في الحادث.

نظرت إلى الورقة التي يحملها وهي تحس بالدوار، ثم أخذتها منه:

ـ دليل؟... دليل... لا يمكن أن يكون هناك دليل.

نظرت إلى الورقة لتقرأها، فلاحظت صداً على إحدى زوايا الورقة نتيجة انتزاعها من مشبك ورقي حديدي، فقرأت الورقة بسرعة:

«العمر حوالي الستين. بدينة. لحم عنقها متدلٍ من تحت الذقن. شعرها أسود فاحم، مصبوغ بشكل واضح...»

توقفت عن القراءة وتحولت نظرتها إلى صورة كانت في راحة يد نويل... قلبها إلى مؤخرتها لترى أن الخط نفسه كان عليها... وخفق قلبها بشدة وهي تقول:

ـ إنه وصف... لشخص ما...

ـ إنه وصف للمرأة التي كانت تقود السيارة... لقد أرسلها الشاهد لي مع صورة المكان الذي وجدت فيه الحادثة... ولم تكن لها فائدة لي... ليس في ذلك الوقت. لكنها الآن أصبحت مفيدة. ولا يمكنك بعد الآن أن ترفضي تصديقي. إلا، بالطبع، إذا تعرفت على نفسك من خلال الوصف... في الستين، متدلية لحم العنق، والشعر المصبوغ...

ـ نويل... كل شيء يبدو جيداً... لكنني أتذكر كل شيء. تذكرت حال أن شاهدت الصورة المكان الذي حصلت فيه الحادثة... يجب أن أكون متورطة!

ـ ماكسين... أرجوك لا تبدأي بالجدال في هذا الموضوع. اذا استمريت هكذا فسأصدق نهائياً أنك ترغبين حقاً في الغاء زواجنا...

ـ لكن... اوه... لا!

صاحت بالنفي دون وعي منها. وتعالى اللون الأحمر إلى وجنتيها الشاحبتين... ورقت عينا نويل لهذا. لكن صوته لم يكن لطيفاً أو مداعباً كما أحبت أن تسمعه:

ـ هذا أمر جيد... وقد نصل، مع بعض الصبر مني، إلى بعض التقدم؟

رفعت يديها متوسلة، لكنها نسيت كل هذا في لحظة وضوح الصورة أمام عينيها وقالت:

ـ أذكر صوت صرير المكابح جيدا... و... كان هناك أنوار... أذكر بوضوح الآن... كما أذكر رجلاً أدخل رأسه في نافذة سيارتي وقال... إنني ثملة!...

وتمسك نويل بكلمة قالتها:

ـ أنوار؟ أية أنوار؟ لم تذكري الأنوار أمام كورت.

فركت ماكسين جبينها لتركز:

ـ لا... لم أذكرها... لكن كان هنا أنوار بعدة ألوان. أذكرها الآن.

رفعت رأسها نحوه... وجه كالح متجهم، وأكملت وصوتها يخفت ويتلاشى:

ـ ربما أنوار محل...

فسارع نويل يقول ما يجول في ذهنه:

ـ لم يكن هناك محلات قريبة من مكان الحادث... بل كان مكاناً هادئاً ومظلماً... كان طريقاً رئيسية تتصل بطريق أخرى، لكن لم تكن تلك طريق رئيسية بكل تأكيد... أنوار ملونة... هل هي أنوار إشارات السير؟

فاتسعت عيناها:

www.elromancia.com

ـ أجل نويل! أجل! لكن ليس هناك أنوار لإشارات سير في تلك المنطقة.

فقاطعها بنعومة:

ـ لذلك، فكائناً ما كان الذي حدث معك، فهو حدث في مكان آخر. كورت قال لكلوديا إنك غير واثقة بأنها نفس الطريق. وفي رأيي أنك لو لم تشاهدي الصورة هذه، لما ربطت هذا المكان بأي شيء قمت به. ولما تصرفت هكذا... تهربين مني وكأنني الشيطان نفسه يلاحقك!

أشاحت ماكسين بوجهها وتمتمت، دون قناعة:

ـ ربما أنت على حق... نويل...

ـ أظن أن ما حدث معك أنك كنت شاردة الذهن، وكدت في مرحلة ما تتجاوزين إشارات المرور، وجفلت لسماع مكابح سيارتك، أو مكابح سيارة شخص آخر وراءك.

ـ لكن الرجل... ماذا عن الرجل؟

ـ إذا توقفت عند الاشارات، فلا بد أنه كان يرغب أن توصليه إلى مكان ما. ماذا قال لك بالضبط؟ ألا تذكرين؟ قلت لكورت إنه قال لك أكثر من تعليقه على رائحتك.

ـ أذكر الآن! نويل أنت محق. كان يطلب مني توصيلة!

لمعت عيناها لحظة فقد حلت آخر جزء من الأحجية وأحست بالحرية... الحرية!

ـ قرع نافذتي، وعندما أنزلتها سألني إذا كنت ذاهبة نحو محطة القطارات. ثم قال «ثملة! لا بأس... قد أكون مستعجلاً للوصول لكنني لن أخاطر بحياتي»... وكرر كلمة ثملة أكثر من مرة...

برزت الرقة من عينيّ نويل العسليتين وأمسك بيدها:

ـ لم يعد الأمر يهم... أيتها الطفلة الغبية. كيف تستنتجين استنتاجات مجنونة كهذه. ألم يخطر ببالك عندما شاهدت الصورة أنك

قد بادرت فوراً إلى تأليف صورة خاصة بك عما حدث؟ تلك الدقائق كانت تزعجك منذ ذلك المساء، وبوعي أو دون وعي، كانت لديك رغبة في ملء ذلك الفراغ. وكانت تلك الصورة الغبية، اتساءل كيف تقبل كورت قصتك رغم نقصها لدلائل عديدة. الآن فقط استعدت تماماً ذكرى ما حصل.

هز رأسه دليل نفاذ صبره لأفكارها، ثم قال بصوت لطيف:

ـ المهم الآن أن بالك ارتاح بتذكرك أن الرجل كان يريد أن توصليه إلى محطة القطارات، وأنه لم يكن الشاهد على الحادثة.

فارتجفت ماكسين لذكرى ما حدث نتيجة لسوء استنتاجها وكم عانى الجميع بسبب هذا. وفكرت بالطريقة التي كلمت نويل بها، وكيف أنهت خطبتهما... ورفعت نظرها إليه، وجهه متجهم رغم ارتياح فمه وفكه:

ـ إذن كل ما جرى لم يكن له مبرر. ولست أدري كيف ستسامحني.

ـ ولا أنا أدري كذلك. لا بد أنك فتاة خارجة عن المألوف حبيبتي لتمكنك من معاملتي بتلك العجرفة، وتنجين بفعلتك.

فهمست:

ـ آسفة جداً... في ذلك الوقت كنت كالمجنونة. وكان عليّ التخلي عنك.

ـ وقمت بعمل رائع... لبضع دقائق كدت اخرج عن طوري وأقتلك! لكنني لم ابتعد كثيراً وقررت العودة. لأنني كنت واثقاً من حبك...

صمت مقطباً:

ـ لن نعود إلى ذكر الماضي! لقد انتهى كل بؤسنا. ولن نذكره بعد الآن... أفهمت؟

www.elromancia.com

هزت رأسها بالإيجاب، وابتلعت ريقها بصعوبة وهي تفكر به يعود ليجدها في أحضان كورت. وتمتمت:

- لن أسبب لك الألم بعد... أبداً... أبداً، ولا للحظة واحدة...

لم تكمل كلامها لأنها أصبحت فجأة بين ذراعيه واختفى ما تبقى من كلام حين دفنت رأسها في صدره.

- وأنا لن أتركك تبتعدين عن نظري أبداً... ماكسين... فأنا بحاجة إليك...

فقاطعته هامسة وذراعاها تطوقان عنقه:

- أحبك!

للحظات ساد الصمت في الغرفة بعد أن شغلهما جمال اللحظات وسعادتهما. ثم تكلم نويل ليقول إنها يجب أن توضب حقيبتها فوراً لتعود معه، إلى منزله، الذي أصبح منذ الآن منزلها. وتابع بالقول إنهما سيتزوجان قريباً:

- لكنني وعدت بانتظار عودة كلوديا، وهذا سيكون بعد اسبوعين تقريباً.

- عندها ستكون منشغلة بالتحضير لعرسها؟

- هذا صحيح.

- كنت أعرف أنها تحبه، لكنني كنت قلقة حول مشاعر كورت.

- لا حاجة لك للقلق بعد الآن. إنه رجل سعيد، وهو وكلوديا يقولان إنهما يجب أن يشكراك لسعادتهما.

- وأنت نويل.... لم تضع وقتاً طويلاً.

ما إن قالت هذا حتى بدا لها كلامها في غير محله. فاحمرت خجلاً. وضحك نويل يلكم ذقنها بدعابة:

- كنت مسافراً وعدت قبل ثلاثة أيام، وجاءتني كلوديا بعد عودتي

فوراً، وأسمعتني القصة كاملة. ولو كنت في متناول يدي لضربتك. لكن احذري يا فتاة... ولا تذعي مخيلتك تحملك بعيداً بعد الآن.

كانت عيناه تضحكان وهو يتحدث، وبدت اللكنة الفرنسية بارزة. حبست ماكسين أنفاسها أمام جاذبيته وسمعته يقول:

- حجزت مقعداً على أول طائرة إلى فلوريدا ثم إلى هنا. وها أنا ذا مع فتاتي الحبيبة.

وهو يتكلم كان اصبعه يعبث بسلسلة ذهبية في عنقها، لكنه مد اصبعه إلى تحتها لينظر إلى ما تدلى منها.

- لم أعد أحتمل كبح فضولي لأعرف ماذا تخفين فيها قريباً من قلبك؟

فابتسمت محرجة:

- ألا يمكن أن تتكهن؟

فقطب جبينه:

- علبة صغيرة فيها صورتي... لا بد أنك حصلتِ على صورة، ربما من كورت.

- ليست علبة. تكهن من جديد!

- لست أدري...

وسحب السلسلة ليخرج منها خاتم الخطوبة. أصلحته ماكسين ونظفته. وها هو في راحة يد خطيبها، يحس بحرارته من جراء حرارة المكان الذي كان يختبىء فيه. فتح قفل السلسلة، ليخرج الخاتم منها وقال:

- يا حبيبتي الصغيرة الحلوة...

كلماته كانت ناعمة رقيقة عاطفية... تلاشت مع ارتجاف صوته... ولاحظت ماكسين بذهول أن فمه يرتجف... أمسك بيدها ليضع الخاتم في اصبعها، ثم لف اصابعه على يدها الصغيرة وشد

www.elromancia.com

عليها...

لم تستطع ماكسين أن تقول شيئاً. فرفعت عينيها إليه... وبصمت عبرت عيناها عن كل مكنونات قلبها.

●●●

www.elromancia.com
مكتبة رومانسية